اعترافات نساء أديبات

حوارات

أشرف مصطفى توفيق

الكتاب: اعترافات نساء أديبات

الكاتب: أشرف مصطفى توفيق

الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)



٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة

جمهورية مصر العربية

هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥

فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣

http://www.apatop.comE-mail: news@apatop.com

دار الكتب المصرية

فهرسة إثناء النشر

توفيق، مصطفي أشرف

إعترافات نساء أديبات، أشرف مصطفى توفيق.

– الجيزة – وكالة الصحافة العربية.

١٥٩ ص، ١٨ سم.

الترقيم الدولى: ١ – ٠٠ – ٦٧٧٤– ٩٧٧– ٩٧٨

أ – العنوان رقم الإيداع ٢١٣٩٥ / ٢٠١٩

اعترافات نساء أدبيات

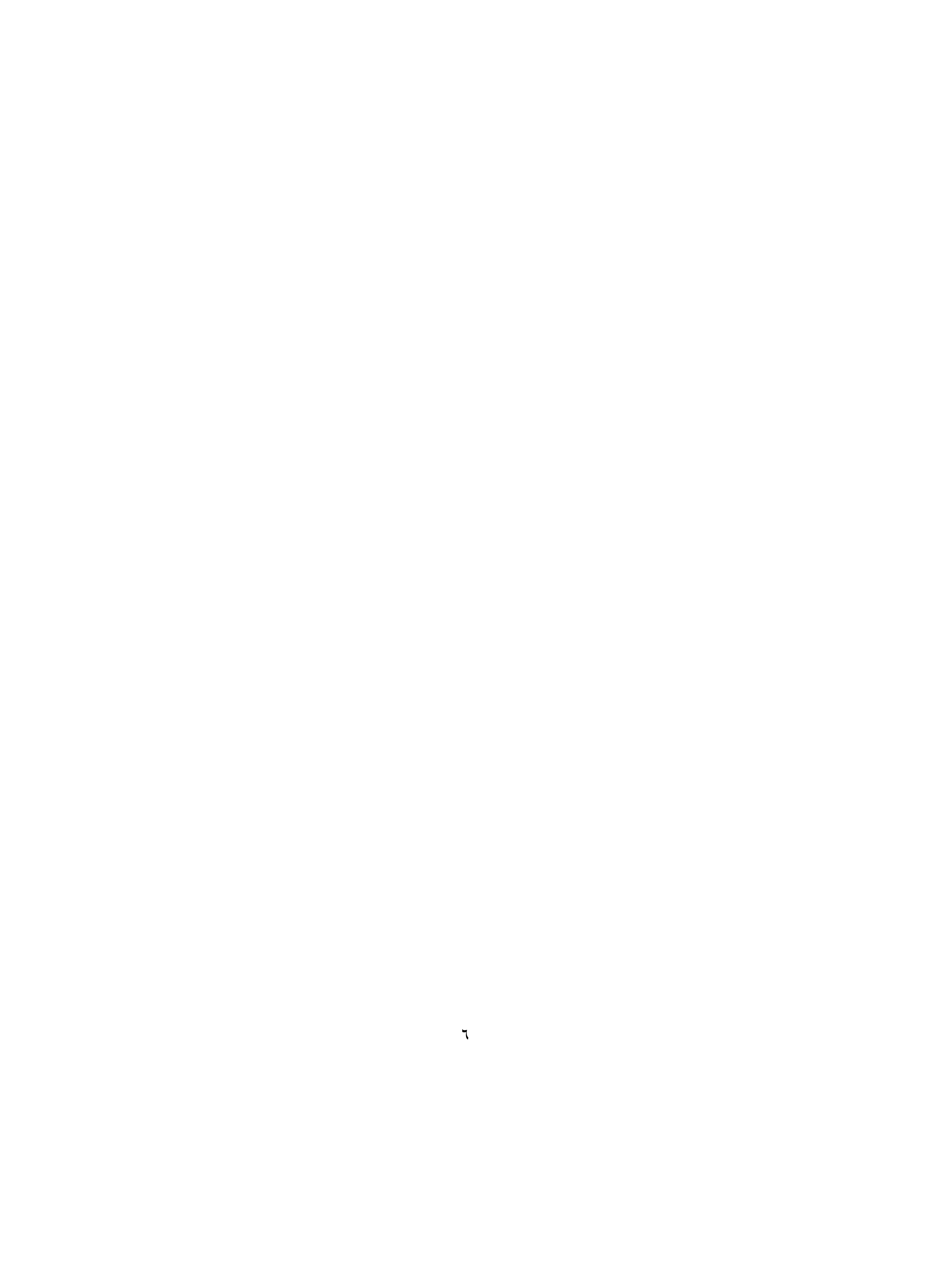
حوارات





إهداء

للرجال الذين كانوا وراء المرأة لتكتب.



قبل أن تقرأ

نسائية أو نسوية أم أنثوية؟!

أخذ هذا السُّؤال يتصاعَّد، مجدَّداً، منذ مطالع العقد الأخير من القرن المنصرم مع ازدياد الاهتمام، أكثر من أيِّ وقت مضى، بالاستيعاب النَّقدي بالذَّات لهذا الضَّرب من الابداع الأدبي والفنِّي الذي ينتسب، على نحو أو آخر إلى "المرأة"، تحت عناوين سجاليَّة، من شاكلة "إبداع نسائي نسوي، أنثوي"، وهلمَّ جرَّا، حيث يدور خلاف كبير بين أغلب النُّقَّاد والباحثين العرب وغير العرب، حول استخدامات هذه المصطلحات التي لا يزال الغموض يكتنفها، في غياب المرجعيَّة النَّظريَّة القاطعة، برغم التَّداول الواسع لها....

– ليس هناك ما يسمى بالأدب النسائي

– يمكن!!

– الأدب ليس له جنس

– يجوز!!

– المشاعر الإنسانية ليس لها خريطة تقسمهما إلى ذكورة وأنوثة

– لا.. يا شيخ!!

– ألا تصدقني؟!

– لا

فالمؤيّدون لهذه الاستخدامات ينطلقون من طبيعة الخصوصيَّة التي تسِم الإبداع "الأنثوي" بما يميِز قيمته ويبرِّر تصنيفه على خلاف الإبداع "الذُّكوري" في حين يرى المعارضون عدم جواز هذه الاستخدامات انطلاقاً من كون المفترض في الإبداع عموماً، والإبداع الأدبي بوجه خاص معالجة قضايا تهمُّ المجتمع كله لا المرأة وحدها فالمشهور، مثلاً، عن الجَّزائريَّة "أحلام مستغانمي" أنها لا تؤمن، أصلاً، بوجود "أدب نسائي" حيث تقول "عندما أقرأ كتاباً فأنا لا أسأل نفسي بالدَّرجة الأولى، هل الذي كتبه رجل أو امرأة" كما تنفي السُّوريَّة "غادة السَّمان" من حيث المبدأ، أيَّ تصنيف لأدبين:"نسائي ورجالي" كذلك تعتبر مبدعات عربيَّات أخريات أن إدراج المرأة ضمن مصطلح "الإبداع النِّسائي" خسارة كبيرة للأدب، حيث ترى "سهام بيومي" – على سبيل المثال – أن عزل"كتابة المرأة" في نوعية معينة من الإبداع يشبه عزل "المرأة" نفسها في نوعيَّة خاصَّة من المشاكل، الأمر الذي قد يشي بنسبتها إلى"كوكب"مغاير" لـ"كوكب الرَّجل"؛ فهناك قضية اسمها أدب المرأة..لا يقصد بها الأدب المكتوب عن المرأة، ولكن يقصد به الأدب الذي تكتبه المرأة، وقد خرجت من أدب المرأة تسميتان نقديتان

غاية في الأهمية: الأدب النسائي، والأدب النسوي، وكل من التسميتين يهتم اهتماما مركزا بالكتابة التي يتنوع إنتاجها بين (القصة، والرواية، والمقالة) وفي سنة ١٩٦٦ صدر في أمريكا كتاب عنوانه: (النساء الجديدات الجريئات) حددت فيه كاتبته (فاكت) الأديبات بأنهن من يكتبن القصة القصيرة والطويلة أو المقالة الذاتية أو النقدية، وقد استرحت لما توصلت إليه صاحبة هذا الكتاب، وبخاصة أنني في ١٩٨٨ قد سألت الشاعرة "سعاد الصباح" سؤالاً مباشراً أثناء توزيع جوائز مسابقتها التي فزت فيها بجائزة (فرع البحوث الإنسانية) عن بحثي "المعارضة المشروعة في الوطن العربي" عما إذا كانت تعاني من متاعب بسبب تصنيف الأدب إلى (أدب نسائي وأدب رجالي).. فقالت: إن الخنساء جعلتنا خارج هذه الإشكالية فالشاعرة العربية سابقة على الأديبة العربية بألف عام!! أنه منذ القدم هناك فصل بين الشاعرات والأديبات!! بل أنها قد طبقت نظريتها بقوة حينما جعلت ليلتها الشاعرية في الأوبرا بين شاعرين من الرجال هما (الفاروقان: فاروق شوشة، وفاروق جويدة). وكنا وقتها نتندر في الأوبرا بأن الرجل في الميراث بامرأتين، والمرأة في الشعر برجلين!! وأعود مرة أخرى إلى كتاب "النساء الجديدات الجريئات" وفيه تفصيل لما سبق إجماله في التفرقة بين نعت الأدب بالنسائية، ونعته بالنسوية فالكاتبة تجعل الأدب المرتبط بحركة تحرير المرأة، وحرية المرأة، وبصراع المرأة الطويل التاريخي للمساواة بالرجل "أدباً نسائيا"، أما الأدب النسوي فهو الأدب الذي تكتبه المرأة مستسلمة فيه لجسدها والذي فيه نلمح الأكلاشيهات الكتابية من نوع (غرقت في بحر العسل. يلتهمها بعينيه يدللها كقطة سيام. بدت له

كقطعة القشطة) ويركز الكتاب السابق الإشارة إليه على نوع الكتابة النسوية فمواده يجمع بينها أمران أن المؤلف دائما امرأة، وأن الموضوع واحد وهو الجنس، أما أوصاف الكتابة فيه فهي في أغلب الأحيان كتابة شخصية ذاتية لا تعبأ إلا بطازج الإحساس دون رقة التعبير وهى كتابة ذات طابع إيروتيكي، جنسي،.وترى محررة الكتاب أن الكتابة الذاتية لا الموضوعية والكتابة عن الجنس أمران طبيعيان بالنسبة للمرأة، بل أن الكتابة عن الجنس أكثر أهمية بالنسبة لها فالمرأة تقع في نقطة توتر بين طبيعة بيولوجية ثابتة ورؤية حديثة متغيرة، وفجرت بالطبع نظرية أن ما تكتبه المرأة إنما تكتبه بجسدها وتمليه عليها البيولوجية المختلفة عن الرجل وقد (اعتنقت الدكتورة هدى وصفي هذه النظرية في مصر) فالجنس هو مركز هذا المحيط النسوي؛ ولذا فإن أسبابه ونتائجه وتأثيراته الاجتماعية والوجدانية تشكل مادة وجود المرأة فالتجربة الجنسية لأغلب النساء ليست مجرد تجربة.. إنها محاولة للإمساك بالكون، وسواء كانت حسنة أم سيئة فإنها تفرز حتما كشفا. وإذا كانت هذه التسميات هي التسميات الأساسية لإبداع المرأة، فقد وجدت تسميات "فانتازيا" أخرى لكتابات المرأة هذه التسميات وجدت في الغرب وعندنا؛ ففي السويد مثلا ظهرت تسمية للأدب الذي تكتبه المرأة بأدب سموه أدب (الملائكة والسكاكين).

وهو ما قلده أنيس منصور فأطلق على ما تكتبه المرأة (أدب الأظافر الطويلة) أي أنها مستعدة وهي تكتب إلى الخربشة والانتقام من الرجل

وسألت انيس منصور عن معنى ما سماه (أدب الأظافر الطويلة) فاجأبني أنه يحتفي به بالكتابة النسوية وفتوحات الكاتبات السوريات واللبنانيات الممزقات لثوب الرجل، "فالحرية لها أنياب وأظافر، وإن فلسفة المرأة الجديدة هي المخالب والأنياب، تمزق بها ملابس الرجل وظلمه وخداعه" ويقول أن المرأة امتدت بمخالبها لرجولة الرجل واستغنت عنها، منتهى الحرية، والغضب، واليأس أيضا، فـ"أنيس منصور" اختار الكاتبات الشاميات من سوريا ولبنان: كتبت عنهن وجلس لما يكتبن معجبا ولهانا، وناقدا حيرانا"، فلم تستطع عنده الأديبات المصريات أن يجارين أديبات سورية ولبنان في الحديث عن الحرية الشخصية – الجنسية مثلا – وإنما انشغلن بما هو أسهل وأسلم: الحرية السياسية، وهي أدنى درجات الحرية ولذلك لم تلق "لطيفة الزيات" حفاوة كبيرة، وإنما كعادة الشيوعيين فهم ينفخون في أي شيوعي حتى لو كان بلا موهبة، فالمهم عندهم أن يزيدوا واحدا أو واحدة، وأن تكون مظاهرة، وأن يكون احتجاج على الحاكم وعلى المحتل، وفي هذا المجال برزت لطيفة الزيات، ولكن لم تكن موهوبة، ولا كان الطبل والزمر من أجلها عملا فنيا، ولم تدخل مجال الأدب، وإنما حشروها بسرعة في مجالات السياسة الهامشية.

وقال:"وكان من الممكن أن تقفز الدكتورة نوال السعداوي إلى الصفوف الأولى، فهي طبيبة تعرف الكثير، وعبارتها قوية، وجريئة أيضا، والذي تقوله نوال السعداوي صحيح، ولكنها اختارت أن تكون مزعجة مع أنها ليست في حاجة إلى ذلك، والفرق بينها وبين لطيفة الزيات كالفرق بين واحدة ارتدت فستانا قديما، كالعمال والفلاحين، وبين واحدة ارتدت

فستانا قصيرا شفافا لا يخفي ما تحته، لأنها حرة ترتدي ولا ترتدي إلا ما يعجبها ومعها كل الحق في أن تكون حرة، ولكن أن تكون حريتها فقط أن تتعرى وأن تلعن كل من يعترضها أو يعارضها وهذه غلطتها، وهي لذلك فقدت قضيتها، وخسرت"الكاتبة" احترام الناس لها في مصر، وإن كانت قد كسبتهم في أماكن أخرى من العالم!

ثم أوجد إحسان عبد القدوس تسمية أخرى حينما سمى أدب المرأة بأدب (الروج، والمانيكير) لأنه يرى أن أدبها أدب صوتي وأدب شكلي تعتني فيه بالتأثير الرنيني والتخيلي عن طريق اختيار الجملة والعبارة دون التدقيق في الموضوع..

ولكن ما هي مشكلة الأدب النسائي أو أدب المرأة أو الأدب الذي تكتبه المرأة بأي تسمية؟! هناك مشكلة نقدية فالدكتورة سوسن ناجي في رسالتها التي حصلت بها على درجة الماجيستير عن دراستها للرواية النسائية في مصر (١٨٨٨ – ١٩٨٥) أقرت أن موضوع دراسة أدب المرأة يعتبر بكرا بالنسبة للتجربة الأدبية الحديثة، لأن النقاد والدارسين ينظرون إلى كتابات المرأة باعتبارها فناً لم ينضج بعد ولم يتبلور في آدابنا، بحيث يبدو من الصعوبة بمكان دراسته أو دراسة تطوره! وإذا كانت سوسن ناجي تعتبر أن المشكلة نقدية، فإن الكاتبة والأديبة سلوى بكر لها رأي آخر، إنها تعتبرها مشكلة ذكورية سببها الرجل، فهي ترى المرأة المثقفة في الأدب تبدو عادة قبيحة، عجفاء، بنظارة سميكة، وهي تذكر وصف إحسان عبد القدوس لمناضلة ماركسية في إحدى رواياته بأنها (خالية من

الأنوثة ولا تنزع الشعر عن ساقيها وذراعيها) بل أنها تذكر أيضا هذا الأديب الذي كتب في واحدة من قصصه "أحب الحركة النسائية عندما تكون في فراشي"؛ فهناك اتهام للرجل بانه لا يهتم بشيء إلا إذا كان في فراشه!!..

أما د. نوال السعداوي فإنها تعتبرها مشكلة جودة واختيار وإن كانت تجعل الرجل هو المسئول عن اختيار الأضعف وترك الأجود فقد كتبت بعد عودتها من أمريكا في ٩٦/٥/١٥ بجريدة الأهالي تقول:

"منذ أكثر من شهرين أرسلت نسخة من كتابي الأخير (أوراق حياتي) لكن مثل هذا العمل الأدبي ليس له مساحة في أي مجلة أدبية أو غير أدبية فالمساحة كلها يشغلها الرجال فوق الستين والشابات تحت الثلاثين أرى صورهن وشعورهن الطويلة وتحت كل صورة خبر أدبي أو غير أدبي! وسألت الناس عن سبب هذه الظاهرة. فقالوا: إن معظم رؤساء تحرير المجلات والصحف في مصر وكذلك المسئولين عن الصفحات الأدبية أو النقد الأدبي معظمهم تجاوزوا الستين من العمر وأكثرهم بالطبيعة ينجذبون إلى الشابات بحكم مقاومة الفناء لهذا السبب يتم تجاهل الأديبات والمفكرات إذا تجاوزن الأربعين أو الخمسين، فما بال الأمر من تجاوزت الستين من العمر؟!"

وقد قالت نفس العبارة – أو قريبة منها – د. لطيفة الزيات بعد أن فازت بجائزة الدولة التقديرية: عندي أعمال تحتاج إلى الاحتضان في زمن صرت عجوزة فيه على الاحتضان!!

أما الكاتبة عائشة أبو النور فهي ترى أن قضية الرجل المتلقي (القارئ والناقد) حينما يصنع بخياله المريض تطابق بين الكاتبة وأبطال قصصها مشكلة الأدب النسائي؛ فتقول: "وإذا كنت أنا نفسي وأنا أقرأ ليوسف إدريس كنت أتصوره هو البطل، في كل قصصه، ولكن المراهقة الفكرية تنتهى بمجرد النضوج، ليبقى نفس المعنى ونفس الكلام: الرجل هو السبب تعددت الأوتار والنغم واحد سواء، لأنه لا يهتم أصلا، أو أنه لا يهتم إلا بالجميلات، أو أنه يهتم بالنساء لذاته الذكورية، ولا يهتم بالنساء لذواتهن وجاءت "شيرين أبو النجا" قبل أن تصبح دكتورة وناقدة نسوية كبيرة مهتمة وتحاول المساعدة، وتقابلنا عند د. نوال السعداوي بجمعيتها القائمة وقتها بالقصر العيني "جمعية تضامن المرأة" وتصادف أن نفس الموضوع كان هو رسالتها للماجستير، وفيما بعد خرج كتابها "نسوي أو نسائي" لتبرز لي الاختلاف والتباين حول أربعة مفاهيم يهتم بها النقد هي (المؤنث، والنسوية، والأنثوي، والنسائي) فالفارق بين النسائي والنسوي مثلا تقول النسوى يعني إجمالًا إعادة التوازن الفكري والفعلي لعلاقات القوى بين الرجل والمرأة؛ فالنسوية توجه فكري لا علاقة له بالبيولوجي، لذا تلزم التفرقة دائما بين نسوي (أي وعاء فكري ومعرفي) ونسائي (أي جنس بيولوجي) وقد يطلق "مصطلح النسائي على الحركات النسائية الليبرالية والتي ترى أن يأتي التغيير تدريجيا.. أما مصطلح

"النسوي" فيطلق على الحركات النسائية تلك التي تنحى منحى راديكاليا أي التي تريد تغييرات جذرية حالة في المجتمع.. لتفتح معي حواراً أدهشني وأخجلني معا..

قالت: لم يأخذ القارئ العربي كتابات المرأة، ولا سيما في بداياتها على محمل الجد، فحاول أن يقلل من قيمتها لكونها كتابات صدرت عن امرأة تحتل موقعا دونيّا في الثقافة الذكورية الجمعية، فلجأت الكثيرات إلى التخفي وراء أسماء مستعارة، ولا سيما الذكورية، ليكتسبن مشروعية تلقي أعمالهن في ظل الثقافة التي تكرس لصمت النساء، وكثيرة هي الأسماء في السجل التاريخي للأدب التى تؤكد ذلك، فـ "مي زيادة" (١٨٨٦–١٩٤١) عرفت بعدة أسماء مستعارة منها؛ إيزيسكوبيا، وشجية، وكنار، والسندبادة البحرية الأولى، وكذلك عرفت "عائشة عبد الرحمن" ١٩١٣–١٩٩٨ باسم بنت الشاطئ، وكذلك الكاتبة السورية "مقبولة الشلق" ١٩٢١– ١٩٨٦ التي كانت تكتب تحت اسم "فتاة قاسيون"، وهو ذاته موقف الروائية "لطيفة الزيات" في مرحلة الريادة في مرحلة ستينيات القرن العشرين، والتي أدلت به في شهادتها حول هذا النمط الكتابي، تقول: (رفضتُ في إصرار أن تبوب كتاباتي الإبداعية في باب الأدب النسائي، وكان هذا القول دفاعًا عن النفس في وجه محاولة مستمرة في أمتنا لتبويب الأدب الذي تكتبه المرأة في مكانة أدبية وفنية أقل من ذلك الذي يكتبه الرجل، وفي استخدام وصف الأدب النسائي كوصفٍ يضمن تحقيرًا لهذا الأدب، وتهوينًا منه وكوصفٍ يرسي محدودية الموضوعات التي يعرض لها، ومحدودية الاهتمامات الإنسانية التي يطرقها)

وكان مثل هذا التوصيف للأدب النسائي مرفوضًا من معظم الكاتبات العربيات لكن الكاتبة عَدلت لاحقًا عن هذا الرأي بعدما طالها النضوج الفكري والفني لتقر بمبدأ الاختلاف بين النمطين، ولكن هذا الاختلاف لا يعني تفضيل أحدهما على الآخر، ثم قالت أن النقد النسوي تبين سبب آخر فتكمن الإشكالية في أن القارئ يتلقى كتابات المرأة ويحكم عليها بمنظوره الذكوري أن تلقي أدب المرأة وفق الذهنية الذكورية ليس تلقيًّا بريئًا أو محايدًا؟! وينظر لها على كونها سيرة ذاتية للمؤلفة؛ فالقارئ لا يتعامل مع النص بقدر تعامله مع جنس كاتبه، إنه يتلصص بالنص على الكاتبة نفسها ويعتقد بأن البطلة هي الكاتبة، ولعل هذا ما عبرت عنه الروائية "سعاد زهير" في مقدمة روايتها "اعترافات امرأة مسترجلة" التي نشرت عام ١٩٦٠والتي صيغت بضمير المتكلم، ولعل اسم الرواية "اعترافات" قد أغرى القارئ بهذا الربط الساذج بين النص وصاحبته، تقول: "حين نشرت هذه الاعترافات، على صفحات روز اليوسف في الشتاء الماضي لم أستطع خلال الأشهر الثلاثة التي استغرقتها الحلقات، أن أمنع عشرات من الأسئلة ثارت حولي، من الذين يعرفونني، والذين لا يعرفونني، بل إن هذه الأسئلة المريبة قد وصلت ببعض أفراد عائلتي إلى حد الغضب والتهديد بمقاضاتي أمام المحاكم، لوقف نشر هذه الاعترافات، حماية لاسم العائلة من أن ينسبها الناس لكاتبتها! وفي البداية كنت أثور في وجه المتسائلين فأضطر لدخول سلسلة لا تنتهي من المناقشات لإقناعهم بالحقيقة بأن هذه القصة ليست حياتي، ليست تجربتي الشخصية".

وهذا ما جسدته "أحلام مستغانمي" إبداعيًّا في رواية "ذاكرة الجسد" على لسان بطلتها، تقول:"يكفي كاتبة أن تكتب قصة حب واحدة، لتتجه كل أصابع الاتهام نحوها، وليجد أكثر من محقق جنائي أكثر من دليل على أنها قصتها، أعتقد أنه لا بد للنقاد أن يحسموا يومًا هذه القضية نهائيًّا، فإمّا أن يعترفوا أن للمرأة خيالا يفوق خيال الرجل، وإما أن يحاكمونا جميعًا"..

ولم أعلق وهكذا تعقد الموضوع معى بالزيادة، فقد جاء النقد النسوي لإزالة اللبس وضبط المصطلحات ولكنه معي فعل العكس!! واستغربت حين قالت لي: غاية النقد النسائي إنصاف المرأة الكاتبة وجعلها على وعي بحيل الكاتب الرجل، وإبراز طريقة تحيزه "ضد المرأة وتهميشها بسبب أنوثتها"!! وتبين لي إن النقد النسوي يتحرك بصفة عامة على محورين: دراسة صورة المرأة في الأدب الذي أنتجه الرجال، ودراسة النصوص التي أنتجتها النساء. ويلتقي المحوران في الواقع عند نقطة واحدة هي هوية المرأة أو ذاتها. ولفت رأسي حين عرفتني على "النسوية الجديدة" من خلال حركة تحرير المرأة واهتممت بذلك!! فجوهر فكرة النقد الأدبي أو فلسفته عند "الحركة النسائية" هو ما لقيته المرأة من ظلم على امتداد تاريخنا الطويل سواء في المجال الإبداعي أي كتابات المرأة نفسها، أو في المجالات التي لم تتح لها الفرصة للتعبير عن آرائها النقدية التي قد تكون مخالفة لوجهة نظر الرجل، ويتعلق بفكرة الإحساس بالظلم التاريخي للمرأة ما تقدمه الحركة النسائية من تصور يفصح عن رفضها "الجنس بصورته التقليدية" أي مفهوم المرأة مصدر متعة أو جمال أو فتنة، فذلك في رأي بعض زعيمات الحركة؛ مثل نعومي وولف مؤلفة كتاب "أسطورة الجمال"،

كان من ذرائع خداع الرجل للمرأة واستغلالها على مدى العصور كان هذا وراء فكرة التشكيك في الأدب والنقد من حيث إنها نظرية بهدف الانطلاق نحو التحرر الحقيقي للمرأة.. وتلخص ذلك"ماري إنجلتون" في كتابها "النقد الأدبي النسائي" الصادر عام ١٩٩٢ حيث ترى أن المرأة خضعت طويلا للنظريات الأبوية التي يضعها الرجال وتثبت أن المرأة أدنى من الرجل، وقد تأثرت الحركة الأدبية في العالم العربي بحركة الأدب النسوي الغربية إلى حد كبير حتى ذهبت إلى حد هجاء المنطقة العربية الموبوءة بالحروب، والدكتاتورية والتخلف الاجتماعي، وغلبة العقلية الدينية المختلفة الداعية إلى طمس شخصية المرأة خلف جدران سمكية من التابوهات، والممنوعات، والعيب، فضلا عن شيوع الإرهاب الأسري، وإرهاب الشارع، والإرهاب الفكري والسياسي فالهدف الصريح للنقد النسوي هو استيعاب الإنتاج الأنثوي الموروث والمعاصر الذي أهمله الرجل طويلا لتحديد ما تكتبه المرأة، وتعريفه وكيفية اتصاله بالأنثوية "علاقة المرأة، وعلاقة الأم بالابنة، وتجارب الحمل والوضع والرضاعة، والبيت، "وكشف التاريخ الأدبي للموروث الأنثوي من خلال تجارب النساء الرائدات السابقات، وتقليدهن بوصفهن نماذج تحتذى من غيرهن مع تحديد سمات لغة الأنثى ومعالمها أو "الأسلوب الأنثوي" المتميز في الكلام المنطوق، والكلام المكتوب، وبنية الجملة، والعلاقات اللغوية، والصور المجازية. ولم أعرف على أي مخدة أتكئ، النسائية أو النسوية أم الأنثوية، ظلت مخدتي خالية (الوسادة الخالية) وحين ظهرت صور الكاتبات عليها تركت التنظير، واخترت الحوارات، فأنا أقرأ كل أو بعض ما كتبت الكاتبة

من روايات وقصص ومقالات ثم أطرق بابها لأحاورها. هكذا ببساطة فقد كان أسلوب الحوار هو أقرب وسائل التعبير إلى عقل القارىء، فهذا الكتاب محاولة كلام عن المرأة وحوار مع المرأة وهات وخد بالحروف والجمل والعبارات مع نساء، ولكنهن نساء أديبات.

أشرف مصطفي توفيق

مدخل من : مجموعة سناء البيسي القصصية :

الكلام المباح

"لا تبحث كثيرًا.. لا يوجد شيء تحت الكلمات، إن امرأة تكتب هي امرأة فوق الشبهات؛ لأنها شفافة بطبعها"
أحلام مستغانمي

عن دار سعاد الصباح بغلاف لحلمي التوني، صدرت مجموعة سناء البيسي "الكلام المباح" في ٢١٣ صفحة من القطع المتوسط تحوي أكبر عدد من القصص القصيرة رأيته في مجموعة قصصية لكاتبة (٣٩) قصة! وحينما تتصفح هذه المجموعة تتساءل: من أين أتت هذه الناعمة، الهادئة، المحبة للظل سناء البيسي بهذه الأبجديات. لقد وضعت حروفها في الفرن الأنثوي فأصبحت طازجة وساخنة دومًا! أسقطني في هوى هذه المجموعة هذا العنوان الشهرزادي الجميل (الكلام المباح) أعادتني لعصر"شهريار" حينما كانت المرأة تحكي له لتهذبه وتعلمه وتعامله كطفل صغير. لا أن تقف في وجهه رأساً برأس وعراكاً ونكدا؛ فسناء البيسي اعتقدت أنها آخر كاتبة يمكن أن توصف كتاباتها بالنسائية فهي لا تحب أن تسير في مظاهرات الأبجديات الموصوفة (بالفيمنيزم) ولكنها تحب أن تعيد للأشياء فطرتها وحلاوتها.. وقد أهدت هذه المجموعة لابنها هشام بعبارة مختصرة (إلى هشام ابناً وصديقا) وقررت أن تربط مجموع هذه القصص بأمومتها

وابنها لا أعرف أهذا عن قصد، أو بدون قصد؟! ولأنه قرة العين وتخاف عليه من الهوا الطاير، أعطت المجموعة خبرتها الأنثوية الشهرزادية، وفي كل قصة تلمح قلب الأم ونصائحها. وهذا واضح من عناوين موضوعات المجموعة: صورة روميو، فستان الزفاف، ديك برعي، كيد النساء، ظمأ الشفاه، العصمة في يدي، لأنه بلغ الأربعين.. وغيرها، فالمرأة تنسب حينما تلد لأمومتها قبل أن تنسب لجنسها!! إنها في هذه المجموعة لا تقف مع حواء طول الوقت وإنما تقف مع آدم معظم الوقت، والمجموعة يصعب عرضها فهي خطاب غير مباشر منسوج الأبجديات بشكل رقيق لا تعرف فيه كيف نطقت بلهجات الناس ومشاعر البشر بدون خروج على اللغة العربية، وها أنا أختار واحدة من قصصها بالصدفة – (قصة كيد النساء): فجأة كإعصار دخلت فاطمة تسب العيال والعيشة والفقر وحماتها والغائب النذل الهارب من مسئولية تهد الجبال. تنبهت لوجوده عندما سعل، التقت عيناهما. غادة فارهة لينة، فهدة مثارة.. يخرب بيتك يا متولي قاعد هناك تعبئ رمال صحراء في صدرك وتارك ست الحسن والجمال هنا وحدها ترعى في غابات المدينة.. عيون بلون السماء في وجه دقيق باسم الغضب، الشعر ذهبي هفهاف يستعصي على التصنيف مقاييس صدر متمرد جهنمي الترويض.. واسمع هذا الوصف (دست النقود في فتحة صدرها كأنها لم تسمعه بعد أن منحته كرشوة ضحكة لعوب)

أما القصة فعن معاناة عمال التراحيل في الغربة، وآه منها غربة حينما يكون مع هذه المعاناة، نساء لهن كيد (فاطمة) تصف الغربة بأوصاف حركية ووقائع لا بطريقة معنوية فتقول: (ريس الأنفار طاف بالعمال محذراً

يكشف نقاب الحقيقة عن قسوة الحياة الجديدة فيها الخطر متربص في كل ثقب وركن، لا تحركوا صخراً إلا بحذر ولا تجلسوا على الأرض بجوار براميل الوقود فالثعابين تعشق رائحة الزفارة.. فتشوا الفراش، قبل النوم ولا تطردوا الخنافس من خيامكم، لأنها عدو العقارب..

وتكتب البيسى (عن غواية فاطمة لأحد أصدقاء زوجها، الذي جاء إليها حاملاً نقوداً وخطاباً من زوجها، فيكون هذا الموقف على لسان ذلك الصديق ساعة الحظ يشتريها ابن آدم بعمره – بنت عمه هناك كالرصد قاعدة له في الانتظار مثل الموت – حمل التليفزيون وأقمشة الشقيقات إلى فاطمة ليجلس بجوارها على الكنبة ثلاثين يوماً يتعشى كفتة وطرب من حاتي أشارت عليه به، وتميل فوقه فاطمة بكوب تمر هندي مثلج ناضح العرق تشهق بالتأثر من صراخ تراجيديا لأحداث فيلم فيضع يده على كتفها مواسياً وينسى أن يسحبها ويسب في سره متولي ومن أنجبه، مع أن متولي هذا هو صديقه وبلدياته أعطاه تحويشة العمر ليعطيها لزوجته فاطمة فقعد بجوارها لم ينس صديقه وحده بل نسى نفسه أيضا!!

وهكذا كلما قرأت قصة من مجموعتها قلت: الله يا ست. فأنا أشارك مفيد فوزي في أن سناء البيسي "مطربة الكاتبات" إن ما تكتبه موال عراقي أو توشيحه أندلسية أو طقطوقة من الموسيقى العربية لسيد درويش، فالعبارات براح واللغة طيعة والمترادفات متتالية كموج البحر والكلمة كالموجة بتجري ورا الكلمة عايزة تطولها والنفس طويل دفقة واحدة وتتابع منسجم، وآه من سخريتها إنها تكتب نوعا من الأدب الساخر عالي

المستوى، أي مادة قاسية للغاية تعالجها معالجة كوميدية تسمي"الأستاذة لطيفة الزيات" رحمها الله هذا النوع (Satire) أو هجاء ساخر وها أنا أفتح قوس لهذه السخرية: (زوج تجب، مصعد بلافتته معطل، حائط شوه بكتابات جارحة، روشتة دواؤها بلاد برة، عيد ميلاد نجمة في عرض مستمر، عتاة يرتعون في الحصانة، ألفاظ خارجة على لسان محجبة، أرقام الإدمان في بلد مقطوعة النفس، حتمية أن تحمل الأم في منتصف يونيو ليفي الابن السن القانونية لحظة تقديم أوراقه للدراسة، وشهادة تبلها وتشرب منقوعها، ومسبحة بين أصابع عابث و...... و.....) وهي تفعل كل هذا برقة همسة ناي وبوداعة قطة سيامية أشبعها الدفء وبقفشة أنس لشلة أحبه في آخر الليل.. وحينما وصلت في قصتها (العصمة في يدي) لأخر فقرة (حجتي في غياب يومين بحقيبة سفر كانت رحلة ثقافية لعضوات الجمعية، يعارض زوجي بصخب مزيف وفي عيونه تلمع سعادة خفية يا سيدي عندك وهيبة لهلوبة تلبي أي حاجة.. في الثامنة أدرت مفتاحي تصحبني شقيقته السمجة وزوجها الكريه وأبوه المتغطرس وصديقه فحل القانون، مع صاحبتي المفضلة، باقة شهود دعوتهم مستغيثة على عجل، وفي حجرة نومي طرح الصديق على زوجي ملاءة، وهرولت وهيبة من قسوة المفاجأة باكية بدموع حقيقية.. وأصبحت العصمة في يدي والعمارة والأسهم والفدادين باسمي.. وأسأله وأنا خارجة هل تريد شيئاً ؟.. يهمس بخشوع: سلامتك!!) وأقول (ده مش أدب نسوي وبس ده فمنست راديكالي) يا بنت الإيه إنها نفس موضوع (إحسان عبد القدوس) في قصة (القط أصله أسد) ولكن سناء أشطر في الحبكة والعقدة القصصية،

فالقصة تحكي عن الرجل الحمش وكيف تستطيع المرأة أن تقلم أظافره نسخة عصرية لأسطورة شمشون ودليلة.

وقصة أخرى.. لقد اكتشفت الزوجة حقيقة زوجها أمام (رقصة لراقصة) وتصف سناء البيسى ذلك: "عجيب أمر بعض الأزواج في بلدي وبينهم السيد زوجي، فرغم جلوسهم فوق مقاعد لها سلطة وجاه وسطوة وثروة وسلطان إلا إنهم لا يستحون، هؤلاء رغم أقنعتهم الرصينة اللاصقة وتدريباتهم المتمرسة في اتخاذ سمات وقار أوصلتهم لمكانتهم المرموقة إلا إنهم مذلون مهانون أمام جسد يتموج، تستطيع أن تتسلل إلى كواليسهم في لحظات معينة لترى حقيقتهم بلا رتوش وعندما يستدعي الأمر وجودهم عن قصد أو بلا قصد في دائرة إشعاع راقصة تتثنى على واحدة ونص، فما أن تسيطر موسيقى الغاب ويمتلئ الجو بصخب دفوف وأصداح صاجات وطرقات رتم طبلة بدائية الدعوة حتى تفاجأ بصنف أولئك الأوغاد وقد نسوا الزوجة، والبيت، والعيال والمركز والمرؤوسين واللجان وقيم المجتمع وجرائد المعارضة ومشدات الهيبة وعادوا إلى بلاهة طبيعتهم البكر، قروداً عابثة كثيفة الشعر بأفواه لاهثة وصدور متهدجة وعواء جوعى وظمأ شره عنيف حار. لا شعورياً يتكالبون بمسام مفتوحة على مركز مغناطيسية الإغراء حيث الأنثى الراقصة تشرخ غلالاتها انطلاقات سيقان عارية تتجاوب إطلالاتها المدربة مع ارتعاشة أسطح عارية تضغط ثناياها عناقيد مطرزة بوهج الأصداف، توزع تموجات مهاراتها حبة فوق وحبة تحت، فيقوم الصدر الوفير بأداء منفرد، ويتوهج طغيان الخصر ليقود كمايسترو بنوايا ماكرة عزفاً جماعياً "وتقرر الراقصة أن تسحب لبيتها الزوج ليتحول

"رجلها وأسدها" لقط.. ويأتي سرد سناء البيسي "بلا لف ولا دوران أريدك في بيتي تفرغاً كاملاً وسأجزل لك العطاء، لا تهمني لا أمانة ولا شرف. لقمة العيش عندي لها مذاق آخر.. بمنتهى الصراحة أريدك عوناً في خراب بيتي. السبيل الوحيد للانتقام ممن أذاقني الهوان ألوانا. الموهوبة التقطت مرادي ومكيدتي على الفور ذكاء قطري حاذق.. تحت أمرك يا ست هانم قمت بهذا الدور مرات ومرات بمشيئة المولى لن يخرب بيتك وسعادة البيه، سيصبح من بعدي مثل الخاتم في إصبعك! مرة أخرى فمنست راديكالى ضد الرجل، نعم إنه أدب نسائي "خدعت فيه"؟!.. المطلوب معلومات بسيطة" وتبهرني سناء البيسي بمرادفاتها ودقتها فهذه هي المعلومات المطلوبة (لون سيادته المفضل، ونوع الرائحة التي تستهويه، وفصيلة القماش الذي يحركه، وأوقات مزاج قهوته، ولحظات سجيته، ومذاق شوربته وطبقه المفضل، ودندنة حلاقته، وتاريخ مرضه، وزجاجات دوائه، وسمك نظارته، وساعات نومه، ومراسيم يقظته، ونقاط ضعفه، وغرابة عاداته) إنها معركة حربية في شكل خراب أسري، ثم أسمع كلام الراقصة وكيف تقمصت "الراوية" شخصيتها واستعارت لسانها دون أن تخل ولو بعبارة بالذوق أو اللغة العربية "إنها تقول: عملت مع بهوات يلعبون في أنوفهم وأصابع أقدامهم وغيرهم يتركون باب الحمام مواربا، ونوع يدور في الحجرات بأدق الملابس الداخلية.. وقلت في نفسي لماذا سناء البيسي متوارية ومختفية كنباتات الظل، في مكتبها عن شمس الحركة النقدية لماذا هي راضية أن تكون مجرد فرع أخضر يكتب في بلاط صاحبة الجلالة. مع أنها كاتبة قصة مقدمة ومميزة ولا يجاريها فيما تكتبه أحد.. هل أعطوها رئاسة

تحرير مجلة كرشوة أو عربون سكات عن موهبتها ككاتبة تقش كل الموجود! ويبدو أنها شعرت بذلك أو سمعتني فحولت الصفحة إلى صفحتين بعنوانها المعروف في مجلة نصف الدنيا (شوقي إليكم) وسجلت بين كل ثلاث مقالات، قصة جميلة تحت عنوان "شوقي إليكم" والحدق يفهم آخر قصصها الجميلة من هذا النوع المستور المحترم!! وهي عن علاقة سكرتيرة متطلعة بمدير عينه زائغة (شوف.. لا أقول لك أسمع فقلمها يسير بكاميرا ساخرة ترصد بوضوح) "بسرعة بسرعة سيادة المدير طالبك.. أنا؟!.. حالا.. استدارت بتلقائية تطمئن على انشغال عيون كل من حولها عنها.. ومن بين براثن الآلة الكاتبة نزعت ورقة لم تكتمل سطورها، كورتها وألقتها عشوائيا. في أكثر من دوسيه مكتظ دست تقارير مهمة بلا ترقيم. بلا ضجة فتحت الدرج وسحبت من داخله المشط تلقيه في حقيبة يدها، إلى الخارج مرقت كسهم، وبعدها هرولت إلى حمام جانبي. بآلية سرعة أفلام شارلي شابلن الصامتة تتحرك امام المرآة. ياقة البلوزة تخرجها من فتحة الجاكيت لتحيط نسيجها بوجهها. التوكة التي تخنق خصلاتها تنزعها وتطوح شعرها ليتناثر شلالاً على الجانبين، بخبطات متلاحقة من مسحوق حمرة الخدود ضجرت وجنتيها بلون الخجل على بروز غطاء زجاجة البارفان ضغطت لتدير الرذاذ العبق في سحابات تحيطها بأريج الياسمين الهندي، عروة اختصرتها في حزامها زادت من ضيق محيط خصرها ليبرز بدوره انحناء استدارة صدرها فيشرئب أكثر وأكثر، في شد جواربها للعلالي تغالت لتنصب قوالب السيقان سالمة من غير سوء يغلفها اللون الطازج المدخن

إصبع لامع أدارته على اكتناز شفتيها غمستهما في بريق شهي ولفته أخيرا مطمئنة بمثابة ختم باسبور العبور تنهدت بعدها تملأ صدرها بهواء"..

قالت صافي ناز كاظم في الندوة: "البيسي تكتب أدباً وفقط، فلا هى الأنا في قصصها، ولا تتماهى مع بطلاتها، ولا تضع تناص بين أدبها وسيرتها الذاتية، إنها خارج الأدب النسائى!!

همست بما أشعر به عن سناء البيسي وقلت لها: أنت صديقة توأمة لها فما رأيك؟!

قالت صافي ناز كاظم: أنا شفت في (هو وهي) حينما كتبتها سناء البيسي قصص قصيرة مبهرة وشاطرني في ذلك وقتها صلاح جاهين وتلفز ذلك لحلقات (هو وهي) وحقق كل من ظهر اسمه على التتر في المسلسل شهرة، وتوجه إعلامي، إلا سناء البيسي شجرة الظل الرابضة في مكتبها، وأذكر في المجموعة قصة لواحدة برجل مشلولة من المنسحقين الهامشيين وبتحب شخص كشفت ببراعة كيف تعيش، وتشعر، وتحب ولم يستطيع صلاح جاهين أن يتلفزها!! النوعية التي تكتبها سناء البيسي أضعها في مستوى مع يوسف إدريس في القصة، ولكنهما بالطبع ليسا متشابهين فسناء أكثر ثراء وتنوعا وخفة ظل، ولا يأتي قبلها أحد، ولكن تأتي بعدها مباشرة في النساء المصريات "سلوى بكر" ورغم أني مختلفة مع سلوى فهي ناصرية ولكن الشغل شغل وأنا أحب أقول للحلو يا حلو في عيونه؟ شغلها ما حصلش.

وشجعني ذلك عن نوع من النميمة الجميلة أن يتحدث اثنان عن ثالثة غائبة هما في حالة حب وإعجاب لها.. إنها بأدبها وطلعتها وطريقة حوارها وصافي ناز كاظم بقصة سناء كاملة؟! قلت لها: أنت وسناء البيسي؟.. وقبل أن أكمل السؤال ..

قالت: أنا معها من عام ١٩٤٥ هي ٣ أغسطس وأنا ١٧ أغسطس ١٩٣٧ وإحنا الاثنين من برج الأسد فهي مولودة يوم الثلاثاء وأنا موجودة على الأرض برضو يوم ثلاثاء ومن حي واحد وهو العباسية، وهي صديقة لي ولأختي، ودخلنا العباسية الثانوية فصل واحد ممكن تجلس جنبي أو ورايا أو أمامي ولما دخلنا الجامعة كانت هتدخل كلية الحقوق فأبوها كان يريد أن ترث مكتبته القانونية قلت لها (حقوق إيه) تعالي معانا آداب قسم صحافة؛ فسحبت ورقها ورايا.. وبقت معايا في شلة عباسية بنركب أوتوبيس واحد.. في الأول كان ترام.. ترام ٣.. ثم دخلنا معاً "أخبار اليوم" وتدربنا سوياً في مدرسة (علي ومصطفي أمين) كان معانا وقتها سناء فتح الله وسناء الغزالي وسميحة صبور..كنا إمبراطورية (س) ولكن لا أعرف لماذا لم أسمع أي أخبار عنها حينما سافرت أمريكا ومكثت هناك ٦ سنوات يبدو أنها لم تكن تكتب.. دي هى المدة الغامضة عندي بالنسبة لسناء، وجايز من غير ما أعرف قلدتها فسافرت لأمريكا لدراسة المسرح.. وعرفت من بعض رسائلها لي في الفترة دي.. إنها تحب الفنان كنعان – وكان وقتها قد أسلم – وكانت "سناء البيسي" أحد أسباب إسلامه وهذا الحب أنا أعرف تاريخه لأن سناء البيسي فنانة وموهوبة في الرسم على مستو عال وبالطبع مع فنان كبير زي كنعان تكون آخر انسجام، فأنا أرسلت لها

خطابا قلت لها فيه (ثوري.. واتجوزيه بقى.. دي الجزائر اتحررت.. أومال فين الحب اللي بيعمل المعجزات)

ويبدو أنه كان في معارضة من البداية؛ فبعد الخطاب ما وصل لها أخذت شنطة هدومها واتجوزت كنعان، وعمي البيسي بيحكي لي فيما بعد.. بعد أن هدأ كل شيء إنه وجد خطابي في شنطة لسناء فقال في سره "يا بنت الكلب.. يا بنت الكلب.. تخنتي ودن البنت"!!

ووصلني خطاب من (زينب صادق) بأن طنط "دينا" أم سناء دعت علي وقالت (منها لله) عشان خطابي، ووقتها أنا كنت شبه مخطوبة لشخص معجبة به جدا؛ فطارت الدعوة وحطت على دماغي وحطمت كل شيء هو كان من برج (الحوت) ودي أول تجربة حب أنزل فيها برجليه للآخر وأغرق وبعدها كل تجاربي رجل بره ورجل جوة؛ فأنا السبب الأساسي في زواجهما بالطبع.. وعشان كده أنا معزومة دوماً في احتفالاتهم مع ابنهم بعيد زواجهما.

قلت لها: لا أصدق أن "سناء البيسي" من برج (الأسد) شخصيتها غير كده.. هل هناك داخليات لبرج آخر ففي ناس من برجين؟..
قالت صافي ناز كاظم: على فكرة أنا أعرف كويس في البروج لكن من ناحية السمات والصفات الشخصية، وفي برج الأسد أحياناً يكون العنف داخلي فهي ذي البرج تحب الذات وتحب الظهور لكن بشكل داخلي

فهي لا تحب أن تضع نفسها في موقف يترتب عليه انتقادها؛ فهي لا تتعرض – عكسي أنا – فأنا أقول قصيدة شعر وأناقش.. أنا وهي مختلفين ومنسجمين.. أنا سمات البرج "خارجية" وهي سمات البرج "داخلية"، ولذا فهي بنت نكتة، هادئة وساكتة لكن هي المحرك لكل المصائب في الفصل واحنا أطفال..كانت تعمل العملة التي تخلي الفصل كله هيصة وهي جالسة هادئة.. ولو عايز تعرف شخصيتها انتقد أحد من العاملين معها في (نصف الدنيا) تلاقيها خلتكم وجهاً لوجه، حتى ولو كانت تشاطرك الرجل في انتقادك، وتجعل لها حق تطيب خاطره فيما بعد وحدث ذلك معي انتقدت تصحيح موضوعات تنشر لي بمجلتها نص الدنيا فقالت لي: أنا حاجيبه لك إديله زي مانت عايزة.. قلت لها: لا.. أنا كلت من ده كتير بعد ما أمشي تقولي له: أنت نور عنيه

قلت لها: هل سناء البيسي تعرف قيمة نفسها على مستوى الأدب؟ قالت: أنا قلت لها على كتابات (هو وهي) إنها قصص قصيرة لها Form غير موجود في العالم العربي، فهي تفرح بس تقول أسكتي يا صافي ناز.. هي لا تريد أن يقول أحد عليها شيئا أو أن يجرحها ناقد بكلمة.. بس هي مقدرة نفسها أكثر من كده بكثير.. بينها وبين نفسها داخلياً هي عارفة إنها لؤلؤة، وأنا بأتحدى أن تكون هناك كاتبة تكتب بهذا التدفق والرتم والتراكمات التي لا يستطيع أحد معالجتها.. أتذكر أنه في مرة كتبت (سناء) موضوع اسمه (حالة ثانوية عامة)، أحمد بهاء قاللي: صاحبتك دي بتجيب الكلام ده منين؟!

سألتها: وسناء كصحفية؟

قالت: سناء البيسي[*] من الكائنات المنقرضة في الصحافة.. عندها أرشيف خاص.. ورصيد غير طبيعي من الصور وبتفكر زي أساتذة زمان (الموضوع ده معاه أي صورة ويكتب ببنط كام وعشان هي فنانة ورسامة جيدة جداً بتوظيف الصورة زي الكلمة).. وبتحقق عندها في (نصف الدنيا) عبارة مصطفي أمين: (عاوز المقال يتفرجوا عليه، والصورة يقعدوا يقرءوها ..

قلت لها: لماذا لا نتكلم عنك؟!

قالت: النميمة على الآخرين متعة.. بس ما يخالف..

وضحكنا

---

[*] سناء البيسي.

- رئيس تحرير مجلة نصف الدنيا.
- خريجة كلية الآداب قسم صحافة – لها عدة أعمال قصصية أهمها مجموعة (الكلام المباح).
- تعتبر بصفحتها (شوقي إليكم) كاتبة مقال أو من أصحاب العواميد الصحفية الذين حققوا شهرة ومجدا، وأصبح لها قارئ ينتظرها..
- بدأت حياتها الصحفية في"أخبار اليوم" ثم انتقلت إلى "الأهرام".
- من مواليد أغسطس ١٩٣٧ .

لا أتخفى وراء بطلات قصصي

وأملك شجاعة الاعتراف

شهادة

أود أن أسجل اعترافا، وهو أني أكتب أدبا ذاتيا (وليس سيرة ذاتية) بمعنى أن أبطال قصصي يفكرون بعقلي ويتحدثون بلساني، ويعكسون مشاعري، والفارق الجوهري بين السيرة الذاتية والأدب الذاتي أن في الحالة الأخيرة لا تكون الأحداث والشخوص المثارة في النص الأدبي واقعا عايشه الكاتب بكل تفاصيله في فترات متغايرة من حياته. بل يشكلوا في مجموعهم مجرد "ديكور" عام مسخر لخدمة الفكرة موضوع الرواية، وقد قمت بهذا العمل انطلاقا من إيمان شخصي بأن الكتابة عبر الذات الخاصة للكاتب تعتبر من أصدق أنواع الكتابات وأكثرها حميمية.. وبالتالي أشدها قدرة على النفاذ والتأثير في أعماق القارئ، طالما هي تستخدم أكثر الطرق ايجازا وبساطة وهما: الصدق، والحقيقة؛ ففي النهاية أنا لست سوى الآخرين.. جزءًا صغيرًا لا يتجزأ عن كل كبير.. همي الخاص متضافر مع الهم العام.. والهم العام سارح في نبض عقلي ومشاعري، كما الدم يسرح في عروق وشرايين الجسم. ولكن السؤال الذي يبقى ليؤرقني حتى هذه اللحظة، هو لماذا أكتب؟.. لماذا يكتب غيري من الأدباء قصصا وروايات

في زمن تحوطه المخاوف بأسلاك شائكة.. ما جدوى كلمة مطبوعة على صفحة بيضاء في مواجهة قنبلة نابلم، ومجاعات يروح ضحيتها مئات.

عائشة أبو النور

حينما قرات كتابها الأخير (أرحل.. لنلتقي) شعرت بأنها مسكونة بالكتابة بالابجديات، عندها الكلمة لها بعد روحي وبخاصة حين تخلطها بالغياب والسفر، حروفها لها بعد ميتافيزيقي فيما تخطه من قصص وروايات فتتوحد مع ما تكتبه، وتكتب ما تتوحد معه!! وهي نفسها لا تنكر أنها بعد نهاية كل عمل تشعر بأنها كل ما كتبت!! وحينما كتبت القاصة "عائشة أبو النور(*)" في مقدمة مجلد الأعمال الكاملة الأول "اعتراف" لم تجد مشكلة أقرب لوجدانها من هذه المشكلة، هل ما تكتبه سيرة ذاتية أم أدب اعتراف وإذا بها تفجر قنبلة دار حولها الفقه الأدبي لفترة وهو ما سميته (بالأدب الذاتي).. وكانت بداية الحوار من هذه النقطة.. إنها ترفض النقد البوليسي

(*)عائشة عبد المحسن أبو النور من مواليد القاهرة في ١٩٥٠/١٢/٢٣ .

- خريجة مدرسة راهبات الميردي ديو، حاصلة على ليسانس آداب – قسم صحافة من جامعة القاهرة عام ١٩٧٤ .
- عينت صحفية بأخبار اليوم وآخر ساعة سنة ١٩٧٥ برعاية الأستاذ علي أمين .
- نشرت باكورة إنتاجها القصصي في مجلة "صباح الخير" سنة ١٩٧٦ بتشجيع الفنان الراحل (حسن فؤاد) .
- أم لثلاث أولاد: أحمد وياسمين وفرح.
- لها عدة أعمال تتراوح بين القصة والرواية القصيرة والسرد الشعري، أهمها: (أرحل.. لنلتقي)، (مسافر في دمي)، (الإمضاء.. سلوى).

أو المباحثي في الأعمال الأدبية حين بتلصص الناقد أو القارئ كما تقول: من أدبي على حياتي الشخصية افتراضا من أن كل قصة أكتبها هي تجربة شخصية؟!! وقد أوضحت لها أن هناك مدارس في النقد الأدبي تعتمد على علم النفس والتوحد بين الكاتب والمكتوب، وأن هناك نظرية شهيرة في (الأدب الذي تكتبه المرأة) ترى أن المرأة تكتب بأعباء جسدها وفسيولوجيا هذا الجسد، ولهذا فهي تختلف عما يكتبه الرجل!

وقالت: هذه النظريات متهمة بعدم النضج.. القارئ/ الناقد ليس له الخروج على حدود النص أو تحميل النص ما يرفضه الكاتب نفسه..

شملنا سكون وكأن الحديث لا يقاوم روعة الصمت، وخلال هذا الهدوء تذكرت وصف صديق اقترب من "عائشة أبو النور" ووصفها: بأنها شجرة رائعة لا تهتز أبدا، فإذا أقبل الريح أو شبت عاصفة صمدت لها..

لو كنت مورافيا لفعلت!! نعم.. كنت سأفعل مع (عائشة أبو النور) ما فعله مورافيا مع (كلوديا كاردينالي) كنت سأكتب عنها كتاباً!!..

فهي كما تقول الناقدة الأدبية (فوزية مهران): عصرية وغجرية، عريقة وبدائية، ساحرة ومتحررة، ولقد سألها عن ذلك (فاروق شوشة) في برنامجه التليفزيوني (أمسية ثقافية) وتهربت بلباقة قائلة: الناقدة (فوزية مهران) تقصد عائشة أبو النور "القاصة" لا عائشة أبو النور "الإنسانة"!! أما معي فلم تعاند وقالت ضاحكة: على فكرة.. أنا امرأة من برجين:

القوس والجدي؛ فمولدي في ١٢/٢٣/ .. وهو نهاية برج وبداية برج فلكياً!! يمكن يكون ده السبب؟!

وقبل أن أضع أي علامات استفهام قالت: أنا أعتقد في تناسخ الأرواح وهيام هذه الأرواح ولي في هذا الموضوع قراءات كثيرة، ولذا فيمكن أن أكون ولدت من قبل بشكل ما، وفي مكان ما وبالرصد أكون ولدت أربعة مرات من قبل؟!! وفي فترات حياتي الحالية يشدني هذا الوجود فمثلا حدث لي اشتياق فظيع للهند واشتريت أكثر من ساري هندي وأخذت تقاسيم وجهي شكلا هنديا، وفترة أخرى فرعونيا.. أجدني معلقة بهذه الحضارة.. أكون حتشبسوت وأحياناً أتوحد مع كارمن الغجرية الشهيرة – مع أنها شخصية أدبية على الورق – لكنها تتقمصني، ومرة كنت "درية شفيق" الصحفية الجميلة المعاندة لعبد الناصر! رغم أننا عائلة ثورية تدمن عبد الناصر. شعرت بحالة توحد معها غريبة لمجرد صورة رأيتها لها وتحتها خبر انتحارها، فجأة أصبحت أقلد طريقة لبسها القديمة وكتبت قصة اسمها (الشبيهان) عن هذه الحالة!!

وانتابني ما انتاب ألبرتو مورافيا الكاتب الإيطالي الشهير حينما ذهب لإجراء حوار مع كلوديا كاردينالي في تجربة لأحد المجلات عرضت عليه فيها مبلغا من المال.. ذهب ليحدثها كممثلة مجرد حوار، ولكنه وجدها كيانا أنثويا مختلفا ونادرا؛ فراح يستنطق مواهبها الدفينة تحت الجلد..

وامتد الحوار ليصبح فيما بعد كتابا سجل أرقاما خيالية في التوزيع!! ولكني بالطبع لست في موهبة وفن وجرأة مورافيا!!

وها أنا أقترب من شواطئ تلك الكاتبة الرقيقة جدا والحساسة جدا والأنيقة جدا.. ومع عائشة أبو النور ضع جدا ولا حرج.. أفتح معها صفحات الكراسة..كراستها الخاصة والحميمة، وأنا أدندن بأغنية جون ترافولتا الشهيرة " More than a Woman " لها طبعا..

قلت لها: ارتبطت في الصحافة بكراسة السفر.. ثم أضفت لها كراسات العشق والفن.. إيه حكاية تعبير الكراسة المصرة عليه في الكتابة، ثم لماذا ربطتي بين العشق والسفر مع أن الإغريق يقولون: لا ينبت عشب على حجر أي أن العشق ابن الاستقرار لا السفر؟!.. قالت: كلمة كراسة فيها حميمية وخصوصية منذ كراسة المذكرات أيام التلمذة. وكراسة الفن والعشق والسفر تلخص رؤيتي للحياة، فالحياة إما فن أو رحلة سفر أو عشق، وأنا لا ألوي الحكمة الإغريقية، لأن العشق لا أقصد به عند السفر الرجل، ولكني أقصد به عشق الجديد وغير المألوف والثقافات الوافدة والوجوه الجديدة، ولقد سافرت كثيراً ولكني لم أكتب إلا عن القليل، لأن السفر ليس مجرد الانتقال لمكان، لكن المهم المشاعر والأثر الذي يتركه هذا المكان، وقد لاحظت أن الأماكن التي بها طبيعة بكر سواء هادئة أو متوهجة تعيد شحن وجودي الكهرومغناطيسي، تعطينى شحنات إيجابية، وقد تعجب إذا قلت لك: إني لا أحب عواصم البلاد ولكني أحب موانيها.. فأنا لست ابنة المدينة ولا ابنة الريف أنا ابنة الجزر والشواطئ

أحب الحياة بالقرب من الماء. المدينة لا أعرف لماذا تجعلني في حالة انطفاء وأكسدة.. على الجزيرة أشعر بتلاحم ميتافيزيقي مع الطبيعة!! أذكر أن لي تجربة (ميتافيزيقا) في إحدى جزر ماليزيا وهي جزيرة "بيينانج" شعرت وكأني ولدت عليها.. موجات وذبذبات غير مرئية كانت تشدني للبقاء فيها وبمجرد أن غادرتها انتابتني حالة حزن غريبة انتهت بمرض عانيت منه لفترة في منزلي بالمعادي، ثم أن البلاد التي أعجبتني لا تعجب كثيرين مثلا أنا احببت: سيبريا وماليزيا وإسبانيا وعشقت قرطبة!!

قلت لها: أشعر بأن كراسة عشقك فيها معاناة.. فحبيبك على الورق حبيب كالحجر مسافر لا ينبت عليه عشب، أقصد حنين.. العلاقة في معظم قصصك طياري.. الخطابات هي القبلات اليومية.. التليفونات هي الرئة التي يتنفس منها حبك. حتى أني أعتقد أن اللقاء في ترانزيت المطار!

قالت: الحب ثلاث حالات: حب انتهى فهو ماض، وحب تبحث عنه وعندك إحساس بوجوده فهو حاضر، وحب تحلم به ولا تجده فهو المستقبل.. قاطعتها: هناك حب رابع دائم ماضي وحاضر ومستقبل الحب الموجود في المنزل "الزواج" أو حب الزوج.

استمرت: على العموم أنا لم أعرف الحب المستمر الموجود في المنزل والكاتب يكتب عن الأشياء التي يعرفها، فهو يكتب عن الأشياء التي مرت به أو مرت على ناس يعرفهم، ولهذا لم أكتب عن الفلاحة ولا المرأة في الأحياء الشعبية ولا الحب من النوع الرابع!!

قلت لها: في كراسة الفن أجد حالة غريبة أنتِ منضمة إليها أن معظم المبدعات والأديبات في الشرق مطلقات أحدهم مرة واحدة ومعظمهم أكثر من مرة فهل الطلاق هو عقوبة القدر للمرأة الكاتبة؟! هل هو صخرة سيزيف التي تحملها مع قلمها؟! تطالب بالحرية.. فإذا جاءت طالبت بالرجل.. قالت: أنا أؤمن بأن أي امرأة طبيعية ولنضع خطا تحت طبيعية لا تستطيع أن تقاوم حلم الرجل والأسرة في حياتها وأنا امرأة طبيعية فلا أفصل بين الكتابة والرجل ولست عدوة للرجل، بل تزوجت مرتين وطلبت أنا أيضا الطلاق مرتين؛ فأنا كتاباتي أساسها رفع الأقنعة عن الذات والآخرين، وبالطبع حملني هذا القرار كثير من التضحيات فلا أحب أن أحصل على مكسب عن طريق ارتداء قناع زائف فاتخاذ قرار مصيري كهذا يحتاج (لشجاعة) بغيرها نرتدي أقنعة الزيف وندخل في دوامات أهمها "أن نخسر أنفسنا" فأنا معتقدة في الأسطورة الإغريقية التي تقول: إننا جئنا الحياة لنعيشها ولنقضيها نبحث عن النصف الآخر التائه في رحلة الحياة.. إذن ليس أي رجل هو نصفي.. وحينما أتزوج بغير مكملي ومتممي ونصفي الآخر عار علي أن أستمر.. ولو تحت ألف عقد وألف مسمى.. وهنا أقول لك عن نظرية "ألفين توفلي" عالم الاجتماع وصاحب كتاب "صدمة المستقبل" المرتبطة بالأسطورة الإغريقية، وأنا أعتبر إحدى المعتنقات لها.. ماذا يقول؟!

إنه يرى أن الأسرة حالة مستمرة لن تنقرض كما قالت الماركسية ولكنها ستتطور، وتتعاقب وتظل في حالة ديناميكية.. حالات من الزواج المتعاقب بمعني أن الزوجين اللذين صنعا البذرة الأولى للأسرة لن يستمرا

معا دائما ولكن الاستمرار للأسرة ذاتها، وبعد الانفصال يمكن لكل منهما أن يتزوج من جديد، وهنا يستمر الأولاد مع (العائل المختار) أي مع أحد الزوجين.. الذي يمكن أن يساعده عند زواجه ما يسميه (توفلي) العائل البديل.. وفي قرار انفصالي قررت بشجاعة أن أكون (العائل المختار) ثم زواجي لم يكن تياري، وقراري لم يكن طفوليا متسرعا؛ فمع زوجي الأول عشت ١٣ سنة، ومع الثاني عشت ٦ سنوات، وأنا حالة نادرة في مثل هذه الحالات بالاحتفاظ مع الزوج السابق بالاحترام المتبادل فهو أب لأولادي!!

وأقرأ من مجموعتها الأخيرة "والرجال.. يخافون أيضا" والتي أهدتها لي Quotation .. وفي قصتها "معزوفة الوداع" تقول:

"حبيبي.. لا تجعل أمومتي لأبنائك قضبان سجن يحول دون الدنيا ودون حلمي الواسع.. أمومتي ليست سلاحاً موجهاً ضد حريتي، ليست عقاباً أستحق عليه القمع والكبت.. حبيبي لا تعاقبني بأمومتي، وإلا تنازلت لك عن العرش!!"

أما القصة ذاتها عن حالة انهيار لحب يقول فيها كل طرف ويعلن الانهزام والعجز من خلال رحلة قطار وسفر وهو معنى رمزي وفيها: (قالت عيناه تعاتبها: كان بإمكانك تأجيل لحظة الوداع لمحطة أبعد.. اعتذرت عيناها: تعبت من الانتظار.. سئمت الانتظار، إذ كان لا بد من الوداع فليكن عند أول محطة..)

قلت لها "ربطت الاحاديث بين حياتك الشخصية وأعمالك الأدبية ولذا قالوا أنك تكتبين "سيرة ذاتية" وحينما قلتي في مقدمة أعمالك الكاملة

(أعترف) أكتب (أدبا ذاتيا.. لا سيرة ذاتية) قالوا : إن أدبك مذكرة دفاع عن ثورتها وتمردها ووجوديتها!

قالت: السؤال الذي لم يطرحه أحد ولم يثيره نقاش، ما الذي دفعني بكتابة هذا الاعتراف بعد نشر دام لمدة ثمان سنوات للقصة القصيرة وعند جمعي لأعمالي الكاملة، لقد كنت أسمع وأقرأ من يقول صراحة وبما يشبه اليقين أني (الغجرية الممثلة) في (مسافر في دمي)، وأني متخفية بشخصيتي وراء: شادية وسوسن وسلوى في رواية (الإمضاء سلوى) وبعد سنوات من تكرار الاتهام "قررت ألا أرد على الاتهام ولكن أفسره بطريقتي فكتبت (الاعتراف) أما إن أعمالي (مذكرة دفاع عن تصرفاتي) فهو نفس الاتهام بتسمية أخرى وقد عبرت عنه في كتاب (أحبك.. لا أحبك) في قصة (أديبات.. ولكن) وأقول للمرة الألف بطلاتي في قصصي هن شعاع مني وأنا شعاع منهن، ولكن المشكلة أن معظم من يقرءون لي أو لامرأة يقرأون بدافع التلصص على حياتها الشخصية افتراضا منهم أن كل قصة تكتبها الأنثى تكتبها عن تجربة شخصية وهو مؤرق للأدب النسائي، مع أني حينما أكتب سيرة ذاتية سأقول ذلك صراحة مثل لطيفة الزيات فهل من المعقول أن أعيش وأكون بطلة لكل ما كتبت من قصص، فأنا نشرت ما يقرب من

ستين قصة قصيرة، وروايتين، فمن غير المعقول أن اكون عشتها بشكل واقعي وشخصي!!

قلت لها: الشجاعة عندك مهمة، ولك مجموعة تهدينها إلى الشجاعة فلماذا الشجاعة من دون القيم.. أنت مهتمة بها؟!

قالت: ولي عبارة قبل أحد قصصي القصيرة أقول فيها: "كنت حبيبي إلى لحظة اكتشافي أن بينك وبين الشجاعة مسافة" فالشجاعة مرتبطة بالنبل وبالمبادئ والقيم وبأن يكون لك موقف وتدافع عنه، وبغيرها ستصبح تابعا.. ستضطر أن تدافع عن مبادئ الغير التي ربما لا تكون راضياً عنها. (ويدفعني الحنين والمجهول لقراءة القصة التي كتبت قبلها هذه العبارة عن الشجاعة وأجدها قصة بعنوان (أزمة حنان) تذهب فيها زوجة لابنة ليل (مومس) تسألها لماذا يأتي إليها الرجال؟! ماذا فيها؟! ما سرها؟! وتقول لها المرأة: إن المسألة حب استطلاع، بحث عن مغامرة مسروقة!!

وترى أن الامر بهذه المعنى سيستمر ويبقى ويتخذ أشكالاً وصوراً مختلفة،وهنا تقول الزوجة: "طالما أن (رمزي) يستوي عنده الجسد المباح المعروض للبيع والشراء، وجسدها التي تعتبره قلعتها وكرامتها وأرضها، طالما أن رمزي يستوي عنده الأمران، والجسدان والقيمتان، فهي إذن، ومنذ هذه اللحظة "تكرهه!!").

قلت لها: الإهداء في أدبك عنصر أساسي عندك؛ ففي (ربما تفهم يوما) كان الإهداء للوطن المسافر دوما في دمك.. وفي "الإمضاء.. سلوى"

كان الإهداء إلى أبيك عبد المحسن أبو النور، وفي آخر اعمالك (أرحل لنلتقي) الإهداء إلى (أبو.. النور) وهنا أتوقف لماذا لا يوجد عندك الإهداء الأنثوي لابنتك فرح، أو لأمك مثلا.. وهل (أبو.. النور) هو إهداء آخر لأبيك أو جدك؟

قالت: الإهداء في حياتي شيء خاص، وفي أدبي سر لا يجوز للنقاد فض طلاسمه؛ فدور القارئ والناقد يبدأ مع النص أما الاهداء فهو لأناس أعرفهم وما يهمني فيه أن يعي هؤلاء فقط معنى الإهداء وبالتالي فلا معنى للأنوثة أو الأمومة أو حتى الأبوية في الإهداء، حتي حينما أهديت (الامضاء سلوى) لأبي لم يكن بمعنى الأبوة، وإنما بمعنى أنه النصف المكمل لي فحياته جاءت أعمالاً وإنجازا لي أما انا فعملي حروف ونقاط وبالتالي دعني بعيداً .. أودعك بعيداً عن حدود أسرار إهداءات كتبي.

قلت لها: أعتقد أنه حان الوقت لنفتح كراسة الثورة، فأنت ابنة أحد رجالها وعشت أيامها.. واقتربت منها؟! ولم أكن أعرف بأني بهذا السؤال دخلت مغارة خاصة في عالمها؛ فطلبت شاياً بنعناع شاركتها فيه، وأخذت أستمع منها وهي هادئة وعلى مهل!!.

قالت: الثورة مسافر دوما في دمي.. وأسأل دوما لماذا لا تكتبين في السياسة وأنت ابنة ثورة يوليو؟.. وأقول: إن أي قصة عاطفية سياسية، أن أكتب عن المرأة وأعتبر ذلك سياسة فأنا أتكلم عن السياسة في حياة الناس عن انعكاسها على عواطفهم وحياتهم الشخصية لدرجة أني اعتبر

قصة "تحقيق في جريمة حب" سياسة والناس تريدني أن أتحدث عن أسرار الثورة، والحقيقة أن والدي أبعدنا تماما عن السياسة وفصل بين السياسة والوزارة والبيت بذكاء وحسم، بل إنه لم يكن بيننا صداقة عائلية مع الوزراء والسياسيين رغم أنهم جميعا كانوا أصدقاء والدي باعتبار أنهم جميعهم ضباط الثورة الأحرار. ولم أر المشير ولا الرئيس جمال وأولادهم إلا في مناسبات وأفراح خاصة وتحت إلحاح يقرب من الأوامر العسكرية منهم وليس منا. ولكني أتذكر قبل حادث ٦٧ بشهور أن أجرى والدي عبد المحسن أبو النور عملية جراحية وعاش وقتها فترة نقاهة، وفي يوم أحد.. أذكره رن التليفون وإذا بالمتحدث يقول: عبد الناصر والمشير والسادات في الطريق لكم!!) وحدث هرج ومرج وترتيب وإعداد سريع ولم يكن أحد مع أمي غيري، وبالتالي وقع عليّ تكليف بحمل صينية القهوة لأشهر رجالات الثورة، ولم أهتز ولم ينجرح وش القهوة كما يقولون، وأنا أقدمها وكنت وقتها بنت أربع عشرة سنة وإذا بعبد الناصر يقول: ما شاء الله عندك بنات في سن الزواج!! وفي نهاية الزيارة اقترب السادات من بابا وقال: نقرأ الفاتحة.. ابنتك لأخي؟! وقال له والدي: يا سيدي بعد ما تخلص تعليم دي لسه عيلة عندها ١٣ سنة، واستغرب السادات وقال: "بنتك زرع بدري.. يا عبد المحسن!!".

قلت لها: الوحدة مع سوريا.. ذكرياتك!!

قالت: عشتها وتأثرت بها وعرفت الكثير وقتها في سن لا يعني إلا العواطف فقد كان والدي الحاكم العسكري لدمشق.. وأشهد أن الشعب

السوري كان فرحا بالوحدة ويكفي أن تقول: إنك مصري، لتنال كل الرضا والحب.. لقد رأيت وأنا أوزع صور عبد الناصر، سيارته تكاد ترتفع من الأرض بموجات من البشر، وعشت هناك أربع سنوات، وأعتقد أن وصف (دمشق) بأنها عروس ناصر ليس وصفاً بعيداً عن الحقيقة. وعلى كل حال أبي كتب عن الثورة، وكان مركزا على تجربته في الوحدة مع سوريا، الكتاب اسمه "الحقيقة عن ثورة ٢٣ يوليو"

قلت لها: والثورة الآن كيف تتعايشين مع التغيرات التي حولك؟!

قالت: أجرح جرحا شخصيا حينما يحدث انتقاص أو تعد جارح للفترة الناصرية، لأني مرتبطة بهذه الفترة ارتباطا عاطفيا جدا، فمع عبد الناصر الذي ارتبط بقيم وحلم عربي كبير لا أجد عقلي بل قلبي أما بعد عبد الناصر فالأمور تمر بي بشكل عقلاني خارج العاطفة.

قلت لها: أنت من الكاتبات القليلات اللاتي درسن الصحافة دراسة أكاديمية.. فهل هو اختيار، أم صدفة، وما هي قصتك مع صاحبة الجلالة الصحافة؟!

قالت: الصدفة هي قانون حياتي؛ فالصحافة كانت آخر تصوراتي، وبخاصة بعدما انقلبت ١٨٠ درجة على أبي؟! موسى صبري له كتابات عن أبي جعله في رجالات الثورة الأفياء، ولكن بعد ثورة التصحيح المنسوبة للسادات جعله خائنا!!.. ولكني بعد أن عدت من الخارج وجدت أن دخولي آداب قسم فرنساوي تكرار لنفس الكلام النظري عن أدباء فرنسا

في القرن السابع عشر وكنت أريد شيئاً عملياً بعيداً عن النظريات فاخترت الصحافة وكان هناك اتفاق مع أهلي على ألا أعمل بها وفي السنوات الأخيرة كنت وزملاء لي نتدرب في الصحف والمجلات وتدربت مع الأستاذ "رؤوف توفيق" في صباح الخير وعملت تحقيقاً صحفياً عن "العصمة في الزواج" ولم يعجب الموضوع أسرتي واعتبروه تشهيراً بحياتي (وكان أول موضوع عن حق المرأة في تطليق نفسها ولم أكتب بعدها)، ولكن فيما بعد أحببت أن يكون أول عمل إبداعي في صباح الخير ونشرت قصة (امرأة الكاوبوي) وأثناء ثورة التصحيح واعتقال "أبي" عاد علي أمين للصحافة.. وبدأ يكتب (فكرة) عن الديمقراطية والسجون التي أغلقت والحق الذي أصبح كالشمس و.. و..؛ فكتبت له، وقلت هذا لا يزال بعيد المنال وأبي وغيره وراء القضبان بلا ذنب ولا شيء.. فلماذا لا تدافع الصحافة عن الشرفاء الضعفاء بدلاً من حمل البخور للرؤساء!!.. وفوجئت بعلي أمين يكلمني في منزلي تليفونياً ويقول لي: "أنت تصلحين للصحافة، لأنك تعبرين عن وجهة نظرك بوضوح وموضوعية"، ودخلت دنيا صاحبة الجلالة من باب "أخبار اليوم"، ولكن كنت صحفية وعيني على الأدب

قلت: لك عبارات وموضوعات تدل على أنك فمنست "أنصار حقوق المرأة ضد الرجل" فمثلا لك عبارة تشبه ما تقوله نوال السعداوي: أنا لا أجيد التعامل مع الأوراق الرسمية وما بيني وبين زوجي لا يزيد عن ورقة رسمية، أو الخيانة لا أن أخون آخر، وإنما أن أخون نفسي عندما أخون مشاعري الصادقة..

أعتقد هذا في (مسافر في دمي) ولك قصة: "امرأة الكاوبوي"، وقصة "وهل تخبرها"، و"أوجاع نسائية" و .. وكلها تصرخ ضد الرجل، فأي نوع من الأدب أنت!!

وقالت: نعم أنا فمنست، ولكني مع المرأة من مطلق أنها الجنس المظلوم ولقد قلت في جمعية الأديبات: لو كان الرجل هو المظلوم لخرجت عن جنسي لأدافع عنه؛ فالفمنست عندي من مطلق حقوق الإنسان لا من مطلق التمرد والخروج ضد الرجل، فالمساواة يجب أن تكون بلا تميز بين رجل وامرأة أي لا تفاضل على أساس الجنس، ولذا فأدبي ليس خروجاً على الرجل، ولكنه يحاول أن يفكر معه نحو حياة أفضل وعلاقة أفضل مع امرأته.

أقرأ بين سطور كلماتك نوعا من التمرد، فهل لنشأتك الأسرية مع أب عسكري وأم خاضعة، تأثير على كتاباتك وشخصيتك؟

قد أبدو على السطح إنسانة وديعة وهادئة جدا، في حين أعماقي تغلي بالبراكين، وبداخلي رفض لكل الأشياء التي لا أحتملها، فأنا أكره رؤية الظلم بأشكاله، ومنذ طفولتي كنت أملك عيناً نقدية،كنت ألاحظ عالم الكبار وأنقده، لقد شاهدت عدداً كبيراً من الزيجات الفاشلة والأسر المحطمة من الداخل، ولكنها لها مظهر براق من الخارج. كل طفلة بشكل او بآخر تتوحد مع شخصية أمها وتريد أن تحقق لها حلمها، وقد كنت ملتصقة جدا بأمي،كانت صديقتي وأختي، كلمات لن أنساها قالتها لي وأنا

بعد صغيرة كانت زادي وميراثي: "عندما تكبرين اعملي على امتلاك مفاتيح ثلاثة: المكتب، والشقة، والسيارة".. قالتها وكأنها تبث لي سرا بعذاباتها الروحية وطموحاتها المجهضة وحلمها السليب في العلم والعمل، ولم تتمن لي امتلاك الجواهر ولا القصور، وظل بداخلي انتظار وترقب للحظة أتمكن خلالها من تحقيق الحلم بلا مساومة أو تنازلات حتى حينما دخلت تجربة الزواج لم أتنازل عن هذا الحلم فالزوج عندما يأخذ الزوجة صغيرة ما بين مرحلة الطفولة وبداية الشباب يعاملها كابنته وحدث ذلك لي،كان الفارق بيننا ١٨ عاما فتعود أن يعاملني كطفلة، وعندما كبرت وحدث التطور الطبيعي لشخصيتي بدأ الخلل في العلاقة بيننا، وتطور حتى أدى إلى الانفصال، واحتفظنا باحترامنا المتبادل، من دون "دراما" انفصلنا ودياً بعد زواج دام ١٣ عاماً وكان طلب الطلاق من ناحيتي.

سألتها: أين المعاناة المفجرة للإبداع.. لقد ولدت وفي فمها معلقة من ذهب وأبوها وزيراً من رجال الثورة فمن أين أصابتها سراديب الكتابة؟!

قالت: للقمة والسلطة والجاه معاناتاها المختلفة، فنحن طول الوقت نعيش الخطر، نخرج وندخل بمواعيد وحساب، نتكلم بحساب، الثورة نفسها تأمر فكلنا نجيب.. هل تعرف لماذا تزوجت وسني ١٦ سنة؟!

لأن ابنه الوزير يجب أن تتزوج من دبلوماسي!! بنات العائلات لا يقلن لا لأبيهم!!.. وقلت من قبل: إني بلا أصدقاء ولا جيران ولم أعرف

الصداقة إلا في الجامعة ثم إن أهل القمة يهددهم القاع على عكس أهل القاع يأملون في القمة، وما نخاف منه حدث..كل الأشياء التي جاءت قبل الأوان.. فقدناها حينما حان الميعاد، الزوج تركته، لأني كنت طفلة فصرت مطلقة في بديات نضوجي واحتياجي لزوج.. والأب اعتقله السادات فيما أسماه "ثورة التصحيح"، حتى الأدب الفرنسي الذي درسته في المجر تركته لأدرس الصحافة في مصر.. هل فهمت.. أم أنك مثل الذين قلت لهم: ربما تفهمون يوما !!

كانت في نظراتها تشبه أرستقراطية من العصر الفيكتوري، وكأنها تشتهي الوحدة وتعانق الغائب، وحينما تذكرت الجزء الثاني من (اعترافها) السابق الإشارة إليه تذكرت ملكة الكتابة النسائية – فرجينيا وولف (١٨٨٢ – ١٩٤١م) فلأسباب لا أعرفها نادت كل منهما أرواح الوجود الهائمة واقتربت من حافة التوحد والإحباط النفسي قالت عائشة في مقدمة أعمالها: الجنون هو الذي يحيط الإبداع، وتحدثت عن كاتبة هي "أجنس عروزنترنا" وهي كاتبه سويدية حاولت الانتحار عدة مرات، ثم فجرت سؤالا مخيفا لماذا المصحات النفسية، ومحاولات الانتحار مصير معظم المبدعين؟!).. ومع كل الغرابة وبدون قصد كانت هذه آخر كلمات (فرجينيا وولف) التي تركتها في رسالة لزوجها "ليونارد" وبعده التقطت جثتها من البحر، قرب مدينة لويس جنوب إنجلترا!!

قلت لها: قطعتي اعترافك الجميل (عن الذاتية) وبدون مناسبة ولا ربط (بالانتقال إلى الإحباط والمصحات النفسية والانتحار).

قالت: وما المانع؟.. قلت: أنا ليس عندي وإنما أطلب التفسير!

قالت: بدأت (الاعتراف) بالمشكلة ثم قدمت الكاتبة السويدية (أجنس) كمثال ودليل ولا أعتقد أني انتقلت بدون مناسبة فأنا أتحدث عن الكاتب الصادق الذي يعيش كما يكتب ويرفض ارتداء الأقنعة أنه كالأنبياء في توحدهم مع رسالتهم أنه يتوحد مع ما يكتبه، وهؤلاء بالطبع سيقاومهم المجتمع وسيعانون، وستكون المصحات النفسية وعدم التكيف هو الثمن ولذا سميتهم "المبدعين" فأنا مازلت أقدم تضحيات وأرفض ارتداء الأقنعة، وأدفع ثمن ذلك ولكن بلا ندم أو تراجع!! ولذا استخدمت عبارة (الناقد) التي قالها للكاتبة التي كانت وقتها مبتدئة (أجنس عروزنترنا) إن ما تنوي فعله بالكتابة يحتاج لشجاعة تساوي شجاعة الدخول في المعركة؛ فالكتابة فعل إيجابي يقوم على المكاشفة والمصارحة والاقتراب، من الحقيقة بالطبع الحقيقة النسبية، لأنها الحقيقة كما يراها الكاتب، وعادة المنطقة التي يكتب فيها (المبدع) هي منطقة محظورة من حيث التقاليد والمجتمع والسلطة.. إذن فهو في صدام ومعركة.

وعادت لي رغبتي الشهية في أن أفعل معها ما فعله مورافيا مع كلوديا كاردينالي ومن يدري، فقد يتحقق ذلك!!

اشتهيت الكتابة حتى غار دمي!

شهادة

أخرج من دمي.. أكسبتني مناعة ضد نزوات لا تجرؤ عليها أحلامي. أخرج من دمي.. مثل الماء أنت.. لا طعم لك، ولا لون ولا رائحة، لكن الحياة بدونك محال مثل الهواء أنت. دائم الغدو والترحال.. لكنك رغماً عني تدخل إلى صدري. أنت مثل النار.. في لحظة تحرق وتسبب الدمار.. ولحظة أخرى تمنح الدفء وحلو الانتظار. مثل التراب أنت. منك جئت إلى الوجود، وإليك عند المنتهى الرجوع. أنت، الأسطورة العجيبة التي حين تتحقق، تصبح أكثر خيالاً. أنت، نقطة ضعفي الوحيدة، التي منحتني قوتي، في عالم لا أود الانتماء إليه، أنت التوتر الموحي بالسحر والشعر والغناء، أنت الرجل المطلق الذي يلائمني في كل زمان ومكان، أسعى إليك وكأني إلى نعيم الأبدية، ساعية، ومفتونة في وجودك ومسحورة في غيابك، وما بين الوجود والغياب أموت مرات ومرات، ويبكيني الاكتشاف المذهل أنني كلما مت فيك، تعلمت أكثر كيف أحيا. صنعتك من عشقي المجنون، وأمنياتي المستحيلة، وكان نصيبي التنكر والجحود. ملأت لك الكأس رويت غيري وتركتني وحدي، مع ليالي الظمأ.فيا آى رجل.. أخرج من دمي.

منى حلمي

اقتربت جدا من "منى حلمي[*]".

قلت لها يوما: أستطيع معك أن أكون عرافا وأقرأ كفك.

فقالت: وهذه لعبة ذكورية قديمة ليستطيع الرجل أن يداعب أصابع المرأة!.. ولم تسمح لي إلا بقراءة فنجان غيبها. وجدت فيها:

– أنها امرأة أورثتها أمها د. نوال السعداوي أشياء: عشق الكتابة، الشعر الأبيض قبل الأوان، قرض الأظافر، نهماً لا ينتهي للبقاء جامحة راديكالية للعلاقة بالرجل!!

– أنها امرأة تحمل جين وراثي حياتي يجعلها لا تنسجم مع الثوابت، وتكتمل بالوحدة.

---

[*]منى أحمد حلمي.

- من مواليد القاهرة ١٩٥٧.
- حاصلة على بكالوريوس الاقتصاد والعلوم السياسية من جامعة القاهرة.
- لها دراسات خارجية في البيئة وتعد لرسالة بعنوان (أثر التعليم في توعية المرأة).
- صدر بها سبعة كتب منها ثلاثة في مجموعات قصصية أشهرها (البحر بيننا) التي حصلت على جائزة تيمور ١٩٩٥.
- تعد برنامجا إذاعيا يوميا باسم "يوميات امرأة عصرية".
- حاصلة على ماجستير تخطيط عمراني من جامعة لندن.

– أنها امرأة مسكونة بالكتابة حتى أنها ترى أن الغرام يمارس بشبق مع الورق وأن الأمومة تكون بعمل مكتوب لا بطفل مولود!!

أثار فنجان القهوة وغيبة المحوج، شهية الحوار وعرفت أنها عند البوح تعانق أصابعها بسيجارة من النعناع وتشعل عود بخور فالحوار عندها له طقوس هو ليس بثاً أو دردشة ولكنه منازلة ذهنية.

● سألتها لماذا تكتبين؟!

قد يبدو السؤال ساذجا، ولكنه مهم مع امرأة قررت أن تأخذ أجازة من عملها وتتفرغ للكتابة، تركت عملها في مركز البحوث الجنائية والاجتماعية رغم حصولها على ماجستير في تخصصها، كتبت في الكارت الخاص بالتعرف عليها "كاتبة" وفقط ومن المعروف أن الأدب وبخاصة في مجال القصة (لا يؤكل عيش كما يقولون) قالت: سؤالك لا أجرؤ على سؤاله لنفسي في أي يوم. وأسأله كل يوم.. أجد له ألف مبرر وأجد أنه لا مبرر له على الإطلاق.. لماذا أكتب؟! لا أدري تماما.. الكتابة عندي تشبه التنفس.. إنها الرائحة التي تجعلني أبقى على قيد الحياة، إنها وجهي وملامحي وكيف أقابل العالم بلا وجه ولا ملامح!.. الكتابة هي فضيلتي وسط العالم الممتلئ بالخطايا.. الكتابة هي عناق حميم للكون، وأنا أوافقك (الكتابة لا تؤكل عيشا حافيا كما يقولون) ولكن يكفيني أن الكتابة تحدث عندي لحظة إخصاب تمنحني أمومة أصنعها وحدي..

قررت أن أستفيد من معطيات إجابتها، وجاء سؤالي إذا كان هناك مرض ثقافي تعاني منه المرأة الكاتبة وهو أنه في عالم الكتابة لا يفرقون بين الكاتب والمكتوب أو بين حياة الكاتب وما يكتبه؟!.. هل هناك مرض آخر قد أصاب المبدعات من أنهن لا يفرقن بين الناقد والحبيب حكايات كثيرة في هذا المجال؟!

قالت: لا يمكن أن أحب رجلا يتجاهل أني كاتبة بل أن المرض مضاعف عندي، فلم يعد انشغالي بالعشق إلا بقدر ما يمكن للرجل أن يكون ملهماً اكتشفت إنني عاجزة عن حب رجل لا يعشقني ككاتبة ولا تكون كتاباتي ضمن أولويات اهتمامه، ولا أنكر أنه مأزق، فالرجال الذين يحبون ويعشقون كثيرون، لكن الرجل القادر على إلهام المرأة الكاتبة أو الفنانة نادر الوجود..

وجاء السؤال: لماذا حتى الآن لا تتزوجين؟! قالت: من قال.. تزوجت القلم.. إنه موقف من الحياة.

مقاطعة مني: آثار دهشتك في البيت أنه ليس هناك.. رجل أو أب مثل كل البيوت التي تدخلينها وبشكل ما ارتبط عندك منذ وقت مبكر بأن غياب الرجل يساوي الإمساك بالقلم وعدم دخول المطبخ والحرية فقررت ألا يكون لك زوج حتى لا تفقدي هذه المزايا.

وقالت: ولكن د. شريف حتاتة دخل البيت ولم أكن قد نضجت بعد وكان وجوده مهماً وعلمني أشياء كثيرة ولم أشعر بأن وجوده قيد حرية

أمي في الكتابة على العكس زاد إبداعها وإنتاجها، وهو رجل حر لأقصى درجة حتى أنه يدعوني ابنته وأنا منذ البداية أدعوه (شرف) لقد فاجأني في عيد ميلاده السبعين بما لم أتوقعه كتب عني الصفحة الأخيرة في جريدة الأهالي ووصفني بأنني الفتاة التي تملك فيض من العواطف التي تهبها للآخرين.

مقاطعة: قلت لها أنت تشبهين الكاتبة النيوزيلاندية "كاترين مانسفيلد" إنها قاطعت الزواج وفرت على الطريقة المصرية ليلة الصباحية وحرمها أبوها من الميراث عقابا لها على تصرفاتها،كانت حياتها ثورات عاطفية حتى أن (د. هـ.لورانس، جعلها بطلة روايته "نساء عاشقات").

وقالت: أبي د. أحمد حلمي، علاقتي به دائمة ومستمرة وأنا مع كاترين مانسفيلد في أنها ترى أن ذهاب المرأة إلى زوج لا تحبه يشبه ذهاب الشاه إلى الذبح ولكن دلتي على الكاتب الذي في مقدره د. هـ. لورانس حتى أسمح له بالكتابة عني.

مقاطعة مني: لكاترين مانسفيلد قصة قصيرة عن مطرب سمعته وأعجبت به واقتربت منه تطلب أن تتزوجه ولكنها اكتشفت أنه لا يغني في غرفة النوم لا يغني لها فهربت منه، هذا المطرب هو جورج بردون الذي هربت منه فعلا ليلة العرس وكان اعتذارها هذه القصة القصيرة.. لك قصة بنفس الموضوع ونفس العنوان "الحب من أول غنوة" وبخاصة أنك تقولين أن ما أكتبه (أدب بوح).

قالت: أتقصد القصة التي أقول فيها (أيها الشادي مساء الثلاثاء ليلة بدء موسم الخريف، مشتاقة إلى موسمك أنت) إنها قصة من أدب الرحلات عشت جزء منها، والخيال له تسعة أعشار الأجزاء، وحينما يصنف أدبي باعتباره "أدب بوح" فلا يعني الأدب الذي تظهر فيه ذاتية الكاتب أو نرجسيته أو حبه لذاته، ولا يعني أنه البطل أو البطلة، فيما أكتب أحيانا رجل أو شجرة أو شيء يلهمني قصة ولكني لست كاميرا فوتوغرافية أكتفي بنقل التفاصيل. البوح هو الصدق وليس تعرية الحياة الخاصة ولكني أحترم كل إنسان يحب الموسيقى.

قلت لها: ما رأيك في تسمية الأدب النسائي؟ وهل ما تكتبين يدخل فيه أو هو خارج عنه؟! قالت: لا تهمني التسميات المهم أن يكون ما أكتبه أدبا جيدا وأنا لا أستطيع أن أخرج عن حقيقتي كامرأة، وفي المجموعات الثلاث القصصية التي صدرت لي كنت هذه المرأة التي تحلم وتفكر وتتحدى ففي (أجمل يوم اختلفنا فيه ١٩٨٧) عبرت عن حالة الحب المتوهجة لإنسانة تكشف نفسها وتحاول أن تتصدى بإصرارها على العمل والحرية والإبداع (بدون أوراق ١٩٩٠) هي حالة امرأة تتلمس طريق الاستقرار لوضع صيغة ترتاح لها في حياتها وتؤمن بها وترضيها في المجموعة الثالثة (البحر بيننا ٩٣) امرأة ناضجة، معاندة قادرة على دفع الثمن، قلت لها: البحر أصبح يداعبك فهل أصابك دواره للكتابة عنه؟ قالت: أشعر بأن البحر هو ديانتي السرية وأنا أعشق الصلاة فيه بالسباحة ومازلت على ديانتي بمزاولة السباحة اليومية لمدة ساعة، نحن لن نعرف كيف نحاور البحر ولو عرفنا سره ولغته لكنا أفضل فأنا أشعر بأن النظر

وتأمله حصانة ضد الغرور ومناعة ضد الشرور، البحر هو المستحيل الذي أسعى إليه، وفي إحدى قصصي في مجموعة "البحر بيننا" تتمنى البطلة أن تلقي حتفها وحبها في شهقة واحدة بين أمواجه المتلاطمة. وفي قصة "وكان الماء ثالثنا" أقول "نقطة ضعفي الكبرى رجل على علاقة حميمة بالماء، يستهويني الرجل الذي يسكنه المطر، وتطرق مسامه قطرات الندى. أعجز عن حب رجل في خصام مع أمواج البحر العشق المستحيل مع رجل لا يمنح الماء كل يوم مساحة من التأمل والحوار، كل احتمال للود مفقود مع رجل يعجز عن عناق الماء أؤمن مثل طاليس أن الماء أصل الحياة.

قلت لها: إذا كنا بدأنا بلماذا نكتب.. فليس أمامنا إلا استكمال التساؤلات السارتارية الوجودية لمن تكتب؟ وكيف تكتب؟!

قالت: يشغلني دائما الكلمة الأولى، أنا أعبر عن المرأة الوحيدة غير الشاعرة بانتماء لشيء في لحظة مكثفة جداً أعطي رؤيتي فما أكتبه ميلاد لتحرر أشياء بداخلي لا أهتم بالحبكة والمعايير النقدية المدرسية بقدر ما أحب أن أشبع ما بداخلي وأنا أميل للنهايات المفتوحة الرحبة وأريد أن أغير كثيراً مما حولي والكتابة هي إعلاني وميثاقي لهذا التغيير.

قلت لها: لو نادك القلم والرجل فلمن تستجيبين؟!

قالت: كما هي محرجة تلك اللحظات حين يدعوني رجل لأن ألقاه ورغم الحنين أعتذر فأنا حين لا أكتب لا أصلح لأي رجل.

قالت: أبحث عن رجل له عطر النقاء، على شفتيه حياء ريفي شرس الندى في عينيه خيط من رحيل يشتهي وصل البقاء، أبحث عن رجل شامخ الصمت يعرف الطريق لمدينة الشجن.

قلت لها: رجل تحلمين أن يسكن دارك، ويقترب من حدودك، ويملك جواز سفر لقلبك!

قالت: لا يوجد رجل يملك كل هذه الإمكانيات الرجل عندي (حبيب على الورق) ولي قصة بهذا الاسم وهذه الفلسفة قلت فيها: أحتاج لرجل يلهمني، أحتاج دائما لرجل على الورق، لأمسك بالدليل الوحيد على أني امرأة. رجال كثيرون ألهموني وقعوا في الفخ المنصوب رغما عني. كل رجل ألهمني أعتقد أنه الحبيب، وأعتقد أن قلبي مع قلمي، كل منهم اعتقد أني امرأة سهلة المنال، حتى الآن لم أجد الرجل الذي يصلح لغرضين معاً (أن يكون ملهماً على الورق، وحبيباً على الأرض) أنا داري وحدودي وقلبي.. هذه قصة أخرى.

قلت لها: إذن هي منطقة عسكرية؛ فبأي مليشيات وأسلحة تحميها؟

قالت: باستقلالي الاقتصادي، والفكري، والنفسي.

قلت لها: ألا يوجد رجل في الأفق تحلمين به؟

قالت: بالطبع يوجد "ولكنه وجود أسطوري خرافي"

جاء الليمون..

وجاءت معه قصاصات كثيرة لأكثر من ٢٠ قصة تستعد منى حلمي لتضعها في باقة واحدة هي المجموعة الرابعة القصصية لها سألتني رأيي! قلت لها هناك ملحوظة نقدية وهي أن المجموعة كلها ينقصها (الحدث)، وبالتالي يمكن بسهولة خروجها من تعريف القصة القصيرة إلى الخواطر الطويلة لفقدها شرطا من شروط الشكل القصصي، وقبل أن أكمل ملاحظاتي انفجرت كالبركان: أنا لا أضع إبداعاً يضع لي شروطه النقاد القصة شحنة مكثفة، والنقد الحديث يضع عبارة للأدب (ممتع أو غير ممتع) أما التقليدية النقدية فأنا لا أهتم بها، إنها أشياء مدرسية للتلاميذ غير المبدعين!! الحدث عندي شعوري داخلي محسوس، ولكنه غير مرئي، ما أكتبه القصة القصيرة المقروءة فأنا لا أطمع في تحويل قصصي في التليفزيون لمسلسلات، لأبحث عن حدث يحركه مخرج، وتمثله ممثلات؟! وهناك قصص أخرى فيها حدث بالشكل التقليدي (مكتوبة في مجموعاتي السابقة).. قلت لها ملحوظة ثانية يا سيدي (٢٠ قصة) كلها البطل فيها (رجل غائب) تناديه أن يحضر ولكنه لا يحضر في القصة – أو تسأليه ألا يحضر– ورغم ذلك البطلة كلها توهج وحاجة له لماذا؟! قالت: أعترف بذلك فالرجل الحاضر لا يلهم أدبا.. ولا يفجر في شحنات الإبداع يجب أن يكون حضوره كالطيف، حضوراً ضئيلاً كنجم يظهر في السماء ثم يغيب، أنا تكفيني بداية العاطفة التي تفجر الكتابة؛ فأنا أحب الملهم في لحظة ولادة القصة وبعدها أنا إنسانة أخرى فالرجل الغائب هو ضريبة الفن، في البحث عن ملهم..

ملحوظة أخيرة في هذه المجموعة زادت عندك لعبة التضاد في اللغة وجعل الكلمات لها معان غير متعارف عليها، وكأنك تقصدين ذلك، ثم أنك أدخلت بشكل مكثف فيها لغة التخاطب والمفردات الدينية..

قالت: بدون تعمد وجدت أن هذا الأسلوب يروقني، وأن اللعب على التناقضات هو المفجر للمعاني والمشاعر الجديدة وبلا وعي وبتلقائية جئت بهذا الشكل المكثف، فمثلا أنت علمت على عبارة (أيها الشيطان الرجيم الذي علمني الفضيلة) ألا تشعر في هذه العبارة بيقظة في الفكر.. فما الجديد في أن أقول الشيطان الذي علمني الشر!! ولكن رجل ويكون شيطانا ويعلم امرأة الفضيلة. تناقضات تفجر الدهشة وتجعلك يقظا عند التلقي.. أما لغة التخاطب والمفردات الدينية فلقد أدهشتني حينما وضعت خطوطا كثيرة ومهمة في مجموعتي الأخيرة حول مفردات من هذا النوع، وأنا ليس عندي إجابة محددة إلا أنه يجوز أن يكون الحب الملهم للكتابة يقترب من مسحة غموض وغيبية من لغة الآلهة، وهنا تكون الكتابة لها مردود كوني تحتاج إلى لغة تقديس، وقد يكون في ملاحظتك هذه معنى آخر جعل الرجل غائبا والحب العذري بلا جسد، فلغة التقديس العالية فرضت الرجل الحاضر والغائب والحب العذري.. وقد أكون حاولت أن أجعل الحديث عن الحب والعشق له معنى مقدس!!

حياتي الخاصة جعلتني أكتب

عن: الرجل الذي.. زاغت عيناه!

شهادة

"تربيت في بيت أبي وزوجته مع ثلاث أخوات، وولدين، وكانت أختي الكبرى قاسية وعصبية بصورة مرضية، تسيء معاملتي مثل أبي تماماً وحينما كنت أذهب إلى أمي كانت معاناة أخرى وسجناً آخر، ثم تزوجت وأنا في السادسة عشرة من عمري من رجل يكبرني بسنوات كثيرة، كان قاسيا صارما لم أشعر معه بمودة، وكنت أناجي ملك الموت ليلاً يأساً من حياتي، ثم خرجت بعد ذلك من هذه التجربة الأولى للزواج عذراء!!.

أليفة رفعت

ثلاثة (اتصالات هاتفية عبر تليفونها : ولقاء واحد بجروبي روكسي، وآخر حوار ينشر لها "هذه هي علاقتي القصيرة.. بالكاتبة.. أليفة رفعت[*]!!

---

[*] أليفة رفعت اسمها الحقيقي "فاطمة عبد الله رفعت".

كانت البداية بالإسماعيلية "جامعة قناة السويس" مع عديلي د/ عبد المجيد أحمد عبد المجيد المتخصص في الأنف والأذن والحنجرة، حيث عرفني بالصدفة البحتة على زميلة له هي د/ أماني حسين رفعت كانت هي ابنة الكاتبة أليفة رفعت البكر. وعلى الرغم من أنها إنسانة لبقة واجتماعية، إلا أنها بمجرد ورود سيرة الأدب، وأمها.. و.. لم نجدها!! قال لي عديلي: إنها مهتمة بالثقافة والأدب ولكنها رافضة تماما لكتابات أمها، بل لأمها ذاتها!!

وكانت (أليفة رفعت) كالعفريت بالنسبة لي أسمع عنها كثيراً ولم أقرأ لها شيئاً. وقد طاردتني شهرتها وكتبها المترجمة في السفريتين الوحيدتين لي للخارج، ولا أعتقد أن سيكون لهما ثالث إلى (ألمانيا وهولندا) فما أن أقول: إني مصري، حتى يقولوا لي: تعرف أليفة رفعت، أو نوال السعداوي، بالطبع كان ذلك في وسط المثقفين من الأدباء!!

قلت له: هذه الفرصة لن أتركها.. أريد كتبها!.

وحضرت لي الكتب عن طريق ابنتها الدكتورة، بلا إهداء، ولا لقاء..

- ولدت سنة ١٩٣١ ولم تنل من التعليم إلا الثقافة النسوية.
- تزوجت ثلاث زيجات وأنجبت بنتاً وولدين.
- بدأت النشر في عام ١٩٥٥ .
- سنة ١٩٧٩ تزوجت من المستشرق "دينيس – جونسون – ديفيز" زواجاً عرفياً، ومن خلاله ترجت كتبها إلى الإنجليزية.

ثلاثة كتب متواضعة جدا في مستوى الطباعة والغلاف ومتوسطة في عدد الصفحات وبهما أخطاء مطبعية ونحوية عديدة، على عكس ما رأيت في الطبعة الألمانية.. الكتاب أنيق وشيك وعدد صفحاته كبيرة وكثيرة!! وأدركت وقتها لماذا حينما كتب الأستاذ "أحمد بهاء الدين" عنها في عموده "يوميات" قال إنه قرأها مترجمة إلى الإنجليزية، أكيد وجد الكتاب الفخم الضخم ذا الغلاف المصقول!!

قابلت الأستاذة أليفة رفعت بعد جهد في صباح مشمس، بعد ثلاثة اتصالات هاتفية أقنعتها خلالها بنقل المقابلة من نادي الشمس إلى "جروبي روكسي"، واستمر اللقاء ساعتين بين الريكورد وأكواب الشاي والبوح الانسيابي منها.. ولكنه نوع من البوح يحسسك برغم تدفقه أنه بنسبة لا يستهان بها من الخيال، لعدم ترابطه، وأحيانا لعدولها عنه عند الاستيضاح!! ولكن الذي يميزه الجرأة والسرعة في تكسير الحائط الرابع. وبالطبع لم يخل الأمر من حوار عن الجنس.. ليس لسبب إلا أن النقد الغربي قد صنفها في خانة: (د. هـ. لورانس) ومورافيا!! واعتبرها من كاتبات الجنس في الوطن العربي بعد قصتها (من يكون الرجل؟!)، مع أني بعد قراءة أعمالها باللغة العربية لم أشعر بذلك!!

على العموم كان من الواضح أن هذا الأمر لا يغضبها، بل يروق لها، بالرغم من ترددها كثيرا بين البوح والإخفاء في بعض المواضيع فتكتفي فيها بمانشت عريض بلا تفاصيل كان لديها إحساس بأنها مراقبة، أو أنها تحت الحصار، بل إن ملابسها وجلستها وحركتها تعكس ذلك فهي تضع

الحجاب ولكنها تلبس بنطلوناً ضيقاً!! وحجابها الحديث من النوع الذي يخفي ٢/١ الرأس ٢/١ الشعر بل إنها مع ارتفاع الشمس وعمودية أشعتها، خلعت الإيشارب بهدوء وقالت: الدنيا حر!! ثم أنها كل ١٥ دقيقة أو ٢٠ دقيقة تقوم لدورة المياه!!

وفي المرة الوحيدة خلال ساعتين التي تركتها بنفس حجتها دورة المياه عدت فوجدتها عبثت بأوراقي، وأدارت التسجيل لتسمع ما قالت!! ولم تنكر ذلك بل ذكرت عدة وقائع حدثت لها جعلتها حريصة، خائفة تعيش في رعب.. قالت: خطفوا مني جواز سفري لإرغامي على السفر لإسرائيل لإلقاء محاضرة أهاجم فيها الإسلام.. بهدلوني، وعشت أيام رعب وأنقذتني السفارة المصرية (ولكنها لا تقول لك من الذين خطفوا جوازها ما جنسيتهم؟! ثم كيف تدخل إسرائيل بدون جواز سفر؟! ثم ما قصة السفارة؟! قلت لها: أقسم لك أني سأنشر التفاصيل.

ولكنها قالت: وبعدين؟! كل الكاتبات حيموتوا على الترجمة لأعمالهم.. جنة الترجمة متلهفات عليها وعلى دخولها ولكنهن لا يعرفن أن جنة الترجمة لا يدخلها إلا الكتابات الرخيصة، وسوف تصفعهن جميعا مثلما فعلت معي.. لا مال، ولا أمان..

لقد ضربني (جونسون ديفيز) حينما طالبت بحقوقي المادية عن مؤلفاتي؟! لقد حضرت مؤتمرا إسلاميا وأعلنت توبتي عن الكتابة السابقة، وقدمت بحثاً عن تعدد الزوجات؟! إنه رحمة بنا في زمن الرجل أبو عين

زايغة.. بدل الخليلات والخلاعة وقلة الحياء.. أيهما أفضل أن تضبطي زوجك مع الخادمة أم أن تعرفي أن اليوم يوم الزوجة الثانية؟! في زمن اللا أمان للرجال، يصبح الزواج من امرأة واحدة مستحيل والحياة مع امرأة واحدة طول العمر مستحيل!! لقد سافرت للكعبة وتبت عن الأدب!!.. وقالت بمبادرة منها وبدون سؤال: مؤسسة غريبة طلبت مني أن أكتب رواية عن (الشذوذ الجنسي بين النساء في مصر)..

قلت لهم: هو فيه النوع ده في مصر؟!

(قالوا لي: إني بعت قصة قصيرة لمجلة "نصف الدنيا" عن حالة من هذا النوع يمكن أن تكبر وتكون رواية).. إزاي عرفوا؟! القصة لم تنشر؟! ثم إنها كانت بين رجل وامرأة عن الملاحظات التي أصبح الرجل يطلبها هذه الأيام قبل العناق، وليست بين امرأة وامرأة!!

وشعرت بأني قابلتها في الزمن الغلط، كان يجب أن أقابلها قبل ذلك بكثير. إنها امرأة في رعب وتناقض، تعيش وفي عقلها الباطن إحساس بالحصار والألم والقهر!! هل يفعل الأدب ذلك بالنساء؟!

بعد سنة من اللقاء أو كما يقول اللغويون سنة ونيف. أصدرت ثلاث أديبات مجلة (عيون جديدة)، اتصلت بي فوزية مهران تطلب التعاون معهن.. قلت: هذا هو ميعاد نشر هذا الحوار مع "أليفة رفعت" قالوا: نريد صور.. صور لها.. صور حديثة؟! حتى ننشر الحوار

اتصلت بها لوسي يعقوب للإتصال بها وطلب صورة فوتوغرافية حديثة لها، قفلت السكة في وجهها!!.. اتصلت أكثر من مرة كان هناك الأنسرماشين بصوت ابنتها د/ أماني حسين.. لم نجد إلا حلاً أن نرسم صورتها مع الموضوع، وأثناء إعداد العدد، كانت مفاجأة.. ماذا؟! من الذي تجرأ ووضع اسم "أليفة رفعت" على الغلاف، إن ذلك قد يترتب عليه مصادرة العدد في الخليج.. أنها محسوبة على التيارات الإباحية!! كيف يا ناس أن المرأة تقول في الحوار: أنها قد حجت إلى الله، وأنها حضرت مؤتمرا إسلاميا كان معها فيه "أنيس منصور" ودافعت عن (تعدد الزوجات في مقابل تعدد الخليلات) ثم انها أمام الكعبة تابت عن الأدب.. إنها حالة جيدة.. ستجعل العدد يوزع كالصاروخ.. التوبة عن الأدب.. بعد التوبة عن الفن!!. ولكن رفع اسم أليفة رفعت من الغلاف!! ثم حدث تدخل آخر من سكرتارية التحرير بالقص والنزع داخل الحوار تحت سمع وبصر الأديبات الثلاث صاحبات المجلة!!

وظللن صامتات، ونزل العدد في الأسواق والتوزيع في ٤ يناير ١٩٩٦ وفي نفس التوقيت أطلقت صافي ناز كاظم من (مجلة المصور) صرخة، فقد كتبت في ركنها الصحفي (إضاءة) (أليفة رفعت: رحلت في صمت) كان غريباً أن يأتي النعي من صافي ناز كاظم وهي محسوبة على تيار يختلف بالقطع عن تيار كتابات (أليفة رفعت)، ولكن أخلاق صافي ناز كاظم كانت ضد التصنيف والتعليب والتسميات والتجزئة ونشرت: رحلت في صمت في ٤ يناير ١٩٩٦ ونشر نعيها في صفحة الوفيات بالأهرام باسمها الأصلي "فاطمة عبد الله رفعت" فلم ينتبه أحد!! فذهبت

من فوري إلى الدكتورة (سامية الحفناوي) أحد أقاربها، والتي تكتب من حين لآخر مقالات طبية عن الأعشاب والتخسيس وتعمل بوزارة البحث العلمي.. قلت لها: أريد أن أذهب لأسرتها للعزاء، وبخاصة أني تعرفت تخاطيفي من قبل على ابنتها.

قالت: هذا مستحيل.. إن حوارك معها.. كان موضوع سرادق العزاء، لقد جاء في وقت حرج.

قلت لها: رحم الله أليفة.. ورحمنا جميعا.

والآن إلى حواري معها.. أنشره.. كما نشر .

بدأت الكتابة في الخمسينات وترجمت أعمالها إلى الإنجليزية والألمانية وخمس لغات أخرى واعتبرتها دور النشر الأوروبية الفرخة التي تبيض ذهباً. لتنتقل من منزلها للعالمية قبل أن يعرفها القارئ محلياً!! فلا أحد يعرف من هي "أليفة رفعت" إلا بعض المهتمين، وقليل من الكاتبات اللاتي يرددن الاسم في توجس وحذر، ولكن لا يوجد ناقد تجاسر وكتب عنها حرفاً واحداً وإن كانت كل من: فريال غزول، واعتدال عثمان قد ذكرتا عنها شيئا في بعض الكتابات أما الأجانب فقد قالوا عنها، وكتبوا، واعتبروها ود. نوال السعداوي، الوجه الجديد للمرأة العربية، وقال خبراء الأدب الهولنديون عنها "قصصها لا تقرأ في جلسة واحدة ولكن تدرس على مهل".

وهي ترى انه يكفيها أن أحمد بهاء الدين اعتبرها "أفضل من كتب عن المرأة المصرية حتى الآن في خصوصيتها"، وكتابات أليفة رفعت "هي تفجيرات في مقابل الضغوط التي تفرض على المرأة اغترابها عن جسدها أو تجاهل نوازعه أو التسامي به. إنها قلم قد وضع في محبرة سوداء للرجل! إنها تسأل "من يكون الرجل؟!" ولماذا جعل "ليل الشتاء طويل" لديها!! وهل لا بد لحواء أن تعود بآدم؟"، وهذه أسماء أشهر مجموعاتها القصصية.. وتقول: كان لا بد أن أكتب عن الرجل والجنس فقد رأيت أبي يتركنا ويتزوج بأخرى غير أمي، ورأيت خيانة زوج أختي لها ومرضها بسبب ذلك، ورأيت ضياع حبي، وشاهدت زوجي في فراش الخادمة. ومررت بأكبر خدعة في قصص الحب والغرام، أن يحبك رجل ليستغلك اقتصاديا!! كانت الكتابة فيما يسمونه بالمناطق الخطيرة ضرورة ملحة لي. الحقيقة لم يمر بحياتي ما يعرف أو يسمونه "بالفارس" قد يكون هذا الفارس موجودا، ولكني لم ألتق به وأشك في وجوده كالغول والعنقاء، ولعل الفارس هو الخل الوفي؟ فبعد كل ما رأيت كان لا بد أن أبحث عن سبب خيانة الرجل؟ وما هو الاختلاف بين أنثى وأخرى، ولماذا يتزوج الرجل بأخرى ولديه زوجته وبالمصادفة كانت قضيتي الخاصة بظروفي هي أشد قضايا المجتمع والشرق ويسمونها بتجربة خاصة جدا

– إذن تجربتك الخاصة.. حياتك.. هي أول ما فجر بداخلك اهتماما بالجنس والرجل فكيف عبرت عن ذلك في أدبك؟!..

– نعم.. حياتي الخاصة في كتاباتي الأولى هي المفجر للكتابة فمثلا قصة "هذه ليلتي" فيها الكثير من حكاية زواجي الأول، مع مهندس مناجم، كنت لا أحبه وكان يكبرني وأرغمني عليه أبي، ليتخلص من أحد مصائبه فلقد تركنا ونحن أربع بنات ليتزوج من امرأة عندها خمسة أولاد!! فقاومته مقاومة سلبية لمدة أربعة أشهر حتى طلقت منه عذراء. إلا أني حولت عجزه عن احتوائي عاطفياً في الحقيقة بعجز جسدي في رجولته في القصة، لأني مفتقدة لحنان الأب فاعتبرت أن بداية الرجولة هي القدرة على الحب والحنان وليس مجرد الفراش.

وقصة "عالمي المجهول" وهي أشهر قصصي، لأنها أول ما ترجم لي وجذب الانتباه لكتاباتي هي قصتي مع زوجي ضابط البوليس في تنقلنا وترحالنا مع أعباء وظيفته وكان مكانها "أجا" بالصعيد حيث تسلمت منزلاً مهجوراً ليكون مكاناً لنا وبدأت في إعداده، وشاهدت في يوم (حية) وانتابتني رغبتان معاً أقتلها أو أبقى عليها وأتمتع بجمال منظرها وجاءت القصة إلا أني تعجبت جداً مما كتبته "فريال غزول" عنها في ملتقى الإبداع النسائي الثاني في المغرب سنة ١٩٩٢ فقد قرأت من النص أني على غير وفاق جسدي مع زوجي وكان ذلك صحيحاً.

إذا كان الأمر هكذا فهناك تجربة أدبية لا أعتقد أن عبرت عنها من قبل أديبة عربية، وهي تجربة الحب بين امرأة وامرأة، إنها ظاهرة في قصة "صديقتي"، وقصة (الحدوتة) ولها بصمات في قصة عالمي المجهول أيضاً، لأنها العلاقة بين المرأة والأفعى في هذه القصة الأخيرة قال عنها النقد: إن

العلاقة بين المرأة والأفعى قد توحي بنوع من العلاقة السحاقية! هذه التجربة بالطبع لم أعرفها ولم أمر بها وقصة "عالمي المجهول" يمكن تصور أن العلاقة بين المرأة والأفعى نوع من الهذيان العصبي المؤقت الذي يصيب امرأة في الغربة ومحرومة عاطفياً ولكنها في الحقيقة تفجير للمكبوت والمسكوت عنه الكامن خلف قشرة الوعي.. أما باقي التجارب السحاقية في أدبي فقد جاءت من أني اهتممت بقضية الجنس ومنها هل يمكن الحياة بدون ذلك الرجل القاسي؟! ولي قصص أخرى تتحدث عن نفس العلاقة بين الرجال وهي قصة "بدرية وزوجها" وفيها عبارة واضحة قالتها "أم جابر" لبدرية حينما شكت لها قالت لها: جوزك ده لو كان امرأة كان زمانه حبل!!.. وبالطبع كان فيه تنويه لدخول زوج بدرية السجن لمدة طويلة؟! ولكني لا أنكر أنني أحببت أختي التي تكبرني بسنة أكثر من باقي أخواتي ولكن ذلك بحكم ظروف السن والقرب والغرفة الواحدة والدردشة معاً وليس على أساس جنسي، ثم أنه في عالم النساء تجد شيئا من المساحقة مثل حمام النساء – تبادل الملابس – القبلات عن السلام.. وأعتقد أن مجتمعات الانغلاق والفصل البات بين الجنسين فيها علاقات مثلية ولكن البعض قال بذلك بعد قصة "صديقتي" على سبيل الكيد الأدبي الذي يوجد في كل الأوساط وليس الأدب والنقد بمنأى عنه؟!

● كيف انتقلت للعالمية؟.. ترجم لك دون أن تمري بمرحلة المحلية وتعرفي لدى القارئ المصري والعربي؟!

–قصتي مع الكتابة بدأت ولم أكن قد تجاوزت التاسعة، وكان موضوع التعبير الذي أكتبه يقرأ في جلسة بالفصل، ولكن شراسة أختي الكبرى في معاملتنا وحرصها على أن نكون حفظة للدروس فقط كبتت هذه المحاولات كثيرا ولم تجعلها تظهر تحت دعاوى أن بنت العائلات الكبيرة لا ينبغي أن تؤلف الأكاذيب والأوهام المسطورة على الأوراق لأن هذا يسيء لها.. ثم حدث أن شعرت بحب جارف لتلميذ في الكلية الحربية وفجر ذلك الحب الرغبة في الكتابة فكانت خطاباتي له حتى إننا قرأنا الفاتحة سويا على الزواج بعد تخرجه وكان تعجبه مما أكتب يجعلني أكتب بتدفق أكثر

ثم حدث زواجي الأول الذي حدثتك عنه وكيف قاومته سلبياً وخرجت منه عذراء، وكان ذلك بسبب هذا الحب وفاتحة القرآن التي بيننا!!.. ثم تزوجت زوجي ضابط البوليس الذي ادعى أنه شاعر واكتشفت فيما بعد كتاب الشعر الذي ينقل منه ما يكتب!! وبمجرد أن تزوجنا عام ١٩٥٢ قال لي ليلة الدخلة سيبك من كلام الكتب وعيشي في الواقع، ولكن بعد حادث اكتشافي لخيانته مع الخادمة تركني أكتب حتى نشرت قصة أختي وسر موتها في مجلة "الرسالة"، وكان يشرف عليها وقتها "يوسف السباعي" فثار زوجي ثورة عارمة، لأنه خاف أن أحكي حكايته بعد أن حكيت حكاية زوج أختي الخائن وخيرني بين الكتابة والذهاب إلى بيت أبي، ولأني كنت أماً ولي أولاد وأعرف معنى غياب الأب عن الأسرة فقد عانيت ذلك بغياب أبي عنا.. وقلت لأبقى معه حتى ولو كان خيال مآتة فإنه يحمي الأسرة من الغربان!!

وبدأت أكتب بأسماء مستعارة مثل "بنت بنها"، "عايدة"، وفي سنة ١٩٦٥ اكتشف زوجي ذلك وأمسك بكتاب الله وحلفت عليه ألا أنشر شيئاً وهو حي، ووفيت بذلك حتى سنة ١٩٧٤ ولما حضر المستشرق "دينيس جونسون جيفيز" لترجمة قصة "عالمي المجهول" وجد عندي قصصاً كثيرة فقام بترجمتها ونشرت بالإنجليزية قبل العربية وصدرت مجموعة عن دار هانيمان، ولذا قفزت من منزلي للعالمية ومازلت أحاول أن أعرف محلياً فهذا هو الذي يرضي الكاتبة.

قلت لها: أعتقد إنك ود. نوال السعداوي أشهر الكاتبات معرفة في الغرب وبخاصة ألمانيا وإنجلترا فهل هناك اتفاق بينكما وبخاصة إنهم يقولون: إن الغرب يترجم لكما لأنكما تلعبان على وتر الجنس في حياة المرأة العربية؟!

– دعهم يقولون فأنا لست أكثر الكاتبات ترجمة لهن فهناك كثيرات ترجم لهن، ولكني ود. نوال السعداوي من أسبق من ترجم لهن هناك سلوى بكر ولطيفة الزيات ورضوى عاشور وكثيرات. وأعتقد أن هذا السؤال كرر للدكتورة نوال السعداوي وقالت: لا نحن مختلفات – وأنا اتفق معها وأوضح أن الجنس في كتاباتي قضية خاصة وإنسانية، أما الجنس في كتابات نوال السعداوي قضية سياسية ومدخل لتحرير المرأة؛ فأنا اكثر ضعفا ورومانسية وعفوية وصوفية. ولكني رغم اختلافاتنا لا أحب من يصفها بالإباحية لأن الصدق في الأدب والتعبير يجب ألا يوصف بغير الصدق.

● **ما هي تجاربك مع الترجمة ود. دينيس ديفيز؟!**

–كان ديفيز مستشرقاً وعرض علي قراءات دينية متعددة جعلتني أكثر اتجاهاً للدين ومعرفته فالحقيقة إني لست من أسرة متدينة ولم يكن زوجي يعرف كثيرا في الدين بل إني قلت له حرام الخمر فينظر لي ويسرح! وبشكل غير مباشر تزاوج الإحساس الصوفي لدي مع الدين وعملت حجة، وأكثر من عمرة، ولكن ديفيز كان يريد أن تكون رؤيتي للدين في خدمة الأدب، وأن أعبر عن المرأة المسلمة العربية المقهورة، وأحزنني أنه سمى أول مجموعة بالإنجليزية لي "منظر بعيد لمئذنة" ثم حدث خلاف بسبب تقاربات عاطفية وعلاقات مادية فانتهت علاقتنا للأسف؛ فرغم كل شيء أنا لا أنسى له دوره في تكويني كإنسانة وكاتبة، ثم إنه بشكل غير مباشر جعلني بمجرد تركه لي أتوجه للقارئ بأشكال إسلامية في كتاباتي ورب ضارةٍ نافعة.. على العموم قصتي مع العالمية ود.ديفيز أعد لها لتنشر وقد عرض الدكتور "سعد الدين إبراهيم" أن يكون النشر لدار سعاد الصباح وأنا أعد أوراقي وأفكر في العرض، ولكن فيما بعد ترجمت للهولندية والألمانية وقام بذلك (د. ناجي نجيب) ثم لليونانية والدنماركية ولا أعرف من قام بذلك حتى أفاجأ بالكتاب!!

بطلاتي لسن نساء جميلات

شهادة

لا يلزمني كي أكون كاتبة حرة، أكثر من ترك العنان لخيالي، يذهب كيفما شاء دون حدود أو سقوف، ثم أخط ذلك الخيال على الورق، فيقبله الآخر بمعزل عن شخصي وذاتي. هكذا أعتقد أنني أكون كاتبه حرة، لكن ما إن أشرع في كتابة الحروف، إلا ويبرز الرقيب من داخلي بسيفه البتار المصوب من قيم الماضي وشروط الحاضر ونفي المستقبل، فيحذف هذا الرقيب كلمة، جملة، فكرة، وقد ينتهي الأمر بحذف عمل إبداعي كامل، وكم من قصة آثرت عدم نشرها، وفكرة إبداعية لجأت إلى وأدها، بناء على تعليمات ذلك "البعبع" الداخلي المخيف. هل أنا جبانة لا أمتلك الشجاعة الكافية للمواجهة؟ أم أني بومة حكيمة تفضل النواح في خرائب النفي وحدائقها تحسبا لوطأة الأذى الإنساني الناتج عن سوء الفهم، وغصة الاختلاف؟. المسألة تتأتى من يقيني بأن الحرية لفظة لم تبرح قواميسنا اللغوية بعد، ولسوف تحتفظ بطبيعتها المتخفية، طالما ظلت مشيئة الفرد رهينة مشيئة الجماعة المحكومة بروح القطيع المنحطة. إن رقيبي الداخلي يستمد قوته من تراثنا العريق في القمع الفكري وهو القمع الذي أصبح – بمرور الزمن، ونظرا لتراكم التجارب وتنوعها جزءًا من نسيج شخصيتنا القومية فنحن رواد قمع فكري حقيقيون، والتجربة الإخناتونية فريدة وعميقة حقا في قمع الجماعة للفرد، ولا يتناقض هذا مع نظرية

المصالح الخاصة لكهنة طيبة؛ فالقمع هنا يبلغ أعظم تجلياته، إذ إن الفرد هان فرعون، وليس أقل. يعاني الكاتب المبدع من قمع المحظورات الثلاثة: الدين الجنس، السياسة، أما الكاتبة فيضاف إلى قمعها قمع اللغة، التي ترقد في توابيتها المصطلحات والتعبيرات الذكورية المتوارثة، ولا تترك إلا هامشاً ضيقاً لتعبر المرأة الكاتبة عن عالمها كامرأة.

سلوى بكر

حينما أرادت لطيفة الزيات أن تكتب عن الكاتبات العربيات استعارت عنوان كتابها من قصة قصيرة لسلوى بكر عنوانها:"كل هذا الصوت الجميل الذي يأتي من داخلها"، لتقول أن حركة النقد الأدبي تتنكر لإنجازات المرأة العربية وتضع إبداعها على هامش الإبداع العربي.. بل وخارجه وإن تعبير الأدب النسائي هو تعبير ينطوي على محاولة لتحقير هذا الأدب وسمت كتابها "كل هذا الصوت الجميل" أي الأدب الذي تكتبه المرأة، واهتمام لطيفة الزيات بسلوى بكر هو بوصلة النقد الأدبي.. حتى أن ما كتب عن كتابات سلوى بكر، أكثر في عدد صفحاته مما كتبته سلوى بالفعل!! ورغم إن كل كتبها متواضعة في الفن الإخراجي وفي السعر وعدد الصفحات وهي غير محسوبة على أي مستوى سلطوي أو مؤسسة ثقافية، إلا أن الغرب قد ترجم لها كل ما كتبت وفي طبعات أنيقة!!

وحينما قابلت الأديب "صنع الله إبراهيم" بعد حصوله على جائزة العويس في الأدب وكان وقتها يراجع كتابه "التجربة الأنثوية" وفيه يتعرض

للكتابات النسائية في الغرب ويقوم بترجمتها للعربية قال: أعتقد أنه هناك اهتمام بالأدب الوصفي الإثنوغرافي الذي يتسم بالحياد والموضوعية العلمية وبأدب المرأة التي لا تسمى جميلة بلغة العارفين بالموضة ومقاييس ملكات الجمال بدليل فوز (توني موريسون) بجائزة نوبل!.. إنه يرى أن الموضة تحولت من الكاتب (المصلح) إلى الكاتب (الأنا)، وقال في سياق ذلك: عندنا (سلوي بكر) تساير زمن الكتابة النسائية التي أصبحت أقل سنتمنتالية ولم تعد تعبأ برقة التعبير).

وبدأت أتتبع إنتاج سلوى بكر القليل الذي ينطبق عليه القول العربي "المليح يبطئ"..مقام عطية، الروح التي سرقت تدريجياً، عجين الفلاحة، بل إنها أهدتني آخر ما كتبت: وصف البلبل، وأرانب، أتيقن من قولين مهمين عن أدبها:

– ما قاله الناقد (إبراهيم فتحي) بعفوية من أن أدب سلوى بكر يشبه البلح الأبريمي كلما شرب من عكارة طمي النيل، تزداد حلاوته كدلالة على اهتمامها بسير الذوات المهمشة في قاع المجتمع.

– ما قاله الناقد (مُحَّد برادة) من أنها تنضم للمبدعين الذين يرون أن (الحق) مرادف لا للذوات السائدة التي تشكل أعمدة المجتمع التقليدي، وإنما للذوات المسحوقة والمهمشة البارزة بوحشية من القاع!!.

وحينما قابلتها لأول مرة مرهقة مهمومة بمشاغل الحياة اليومية تجر ابنتها في يدها وحاملاً في ابنها الذي أعتقد أنه الآن ثلاث سنوات وتقول

لمن حولها بعفوية: الكتابة هي نزهتي بعد الطبيخ ورعاية الزوج.. وإنها لا تخطط لشيء وإنما فقط تمسك بالقلم وتكتب!! قررت ان أدخل عالم هذه الكاتبة المختلفة التي تقول دوما إنها من مواليد ١٩٤٩ وإنها تلبس الملابس الرخيصة، الفضفاضة، حتى جاء هذا الحوار بعد طول انتظار!!

وقالت: كل الكتابات التي تكشف المجتمع مترجمة سواء لكتاب مصريين أو كتاب عرب (عبد الرحمن منيف – مترجم) و(فاطمة المرنيسي – مترجمة) وعشرات الأسماء التي لا تخطر لك على بال مترجمة – بل إن مُحَمَّد شكري نشروا له (الخبز الحافي) قبل صدورها بالعربية!! فالغرب لا يستمتع بأدبنا كأدب، وإنما يقرأه ليعرفنا وهذا ما قاله لهم (ماركيز): أنتم حينما تقرأون لنا.. تقولون أدب أمريكا اللاتينية وكأنكم تعطون لصغاركم درساً في العلوم عن الآخر. وهذا هو الغرب، إنه نفعي وبرجماتي، إنه يعاملنا كموضوع وليس كذات، فالغرب لا يقبل الآخر ولا يعترف به وأي أديب لا يعرف في وظنه.. فهذا معناه نهايته. فبعد نهاية الاستعمار التقليدي هناك شيء جديد يفعله الغرب هو معرفتك عن طريق الإبداع: الأدب والفن، وتحليل ذلك تمهيداً لأخطر اختراق.. اختراق العقل العربي بدلاً من الأرض العربية؛ فمثلا بدلاً من دراسة العلاقة بين الناس والشرطة يحللون عبارة بسيطة في قصة قصيرة حينما تقول الأم لابنها (حتسكت ولا أجيب لك العسكري)؟!

قلت لها: ما رأيك في القول بأن الغرب لا يترجم إلا ما يريد أن يراه كصورة للعرب والمسلمين؟! قالت: الغرب لا يترجم فقط الذين يكتبون

عن قاع المجتمع أو عيوبه إنهم يترجمون للذين يكتبوا عن قممه وأرستقراطيته ولا يمكن مثلا أن تجبر الغرب الذي ترجم (ذات) لصنع الله إبراهيم وهي تتحدث عن مصر في عصر الانفتاح أن يترجم (نجمة أغسطس) لصنع الله نفسه، وهي تتحدث عن التجربة الناصرية في بناء السد العالي، المهم أني أعي أن الغرب لا يترجمني، لأنه معجب بي، أو أني بهذه الترجمة أصبحت في مقدمة السباق محلياً.

قلت لها: في روايتك (مقام عطية) و(أرانب) كتبت بطريقة الريبورتاج الصحفي وأكدت ما يقولون: إن النسيج الروائي يقبل كل الأشكال.. فما أثر الصحافة عليك؟!

قالت: أنا عملت في الصحافة العربية لفترة واستقر بي المقام طبقاً لدراستي في النقد الفني المسرحي والسينمائي ولكن راحتي وجدتها في الإبداع الأدبي.. وحقيقة أنا لا أضع مشروعاً مسبقاً لما أكتب فالنص يكتبني وأكتبه، اما رواية (مقام عطية) فهي رواية رمزية فعطية شخصية مختلف عليها، والسؤال هل هي موجودة فعلاً أم لا؟! فلا أحد يتجاهلها ولا أحد يعرفها، وعند كل شخص رؤية لها ولكنها موضوع يهم الناس!! ورمزيتها تعني أننا في حاجة لشيء يمسنا جميعاً ونهتم به جميعاً أو ما يسمونه بالكلام الكبير "الحلم القومي أو المشروع العام" فالغريب أن هناك أشياء مهمة جدا .. تمر.. ولا نتحدث عنها.. ولا نناقشها مع أنها مؤثرة جداً.. الناس كان زمان يجمعها حلم: ثورة ١٩ وثورة ٢٣ والوحدة العربية. سأضرب لك مثلا قريبا (اتفاقية التسليح النووي) جعلت هناك حوارا بيني

وبين زوجي، جلسنا لأكثر من ساعة نتحدث مع أننا منذ فترة طويلة لم يطل حوارنا عن خمسة دقائق لماذا؟! هذه هي عطية!!.. أما (أرانب) فهي رؤية لصراع الإنسان البسيط حتى يستطيع فقط أن يعيش .

أزعجتها حينما لمحت من بعيد أنها تكتب بلغة عامية ذكرت لها عبارتها: "فلتدخلي الحمام يا بت وتصبي على جسمك سطل مية" وعبارة "عرة النساء" و... و...

قالت: هناك مستوى للغة تابع وملاصق وراسم للشخصية وأنا أحب أن تكون اللغة التي أكتب بها في هذا المستوى، فأنا أستخدم فصيح العامية فحينما تكون القصة عن عالم تحتي أو شعبي فلا أستخدم اللغة الغربية الموجودة في الكتب وإنما أستنطق فصحى العامية. مصدر كلمة (حُق) فهي في اللغة العربية معناها "وعاء صغير" البيئة الشعبية تقول "أحضرت حقاً" ولا تقول وعاءً صغيرا.. الفلاحة لا تقول في كلامها (أعتقد) وإنما تقول (أظن)، فالظن أقل يقينية من الاعتقاد، وكلما قل التعليم تصبح أظن أنسب.. وفي أتيليه القاهرة أثناء مناقشة أحد أعمالي قالوا إن عبارة (مدملكة) عامية وبها فجاجة وأخرجت من القاموس العربي كلمة (مدملكة) فصيحة ومعناها شيء استدارت أطرافه، وقلت لهم بدلاً من الأكلاشيه المحفوظ "امرأة ملفوفة القوام" أنا أقول: امرأة (مدملكة) هذا هو المستخدم في البيئة التحتية.

سألتها سؤال على استحياء خوفا من أي إسقاطات نفسية وجاءت المفاجأة (وصفته بأنه سؤال جميل وملاحظة ذكية!!) قالت: ملاحظتك سارية المفعول وصحيحة.. إن في قصصي لا توجد نساء جميلات رغم أن (عزيزة) في رواية (العربية الذهبية لا تصعد للسماء) امرأة جميلة.. لماذا؟! لأن معظم بطلاتي عاديات لا يلعب الجمال أو الشكل دوراً في القص عنهن فأنا على عكس الأدب العالمي والتراث المحلي لا أجري وراء المرأة الجميلة وإنما وراء المرأة التي تواجه الحياة منفردة.. لا أريد من القارئ أن يتعاطف معهن لكونهن جميلات، فأنا ضد نموذج (الزهرة البرية التي نمت وترعرعت في الوحل).. أنا مع المرأة التي تواجه صعوبات الحياة وليس أمامها إلا إرادتها.

قلت لها: العنف عندك تتبعه المرأة لمجرد زواجها وقبل ذلك تبحث وتحلم وتتدلل للرجل وظاهر ذلك بشدة في مجموعتك القصصية "عجين الفلاحة" فهل أنت من الفمنست المنادي (بقتل الرجل)؟! وبخاصة أنه قتل فعلا على يد "صاحبات العربة الذهبية"، قالت: الرجل هنا ليس بمعنى دلالي واحد، ليس حالة إنسانية، ليس نوع وأنوه أن المقصود هو القيم وليس الرجل ففي (رواية العربية الذهبية) يبدو ظاهرياً معاناة النساء بسبب الرجال ودخولهن السجن بسببه ولكن الحقيقة أن منظومة القيم هي السبب في ذلك العنف بينهن، وهذا ليس حال المجتمعات العربية وحدها بل العالم كله والغرب أيضاً.. وأسجل إعجابي ملاحظة ذكية في السؤال إن العنف يظهر عندي داخل مؤسسة الزواج، فالحب يمكن أن يكون إطارا نقف فيه على حد سواء.. والصداقة إطار آخر يحفظ لكل منا ذاته فلماذا

العنف في الزواج؟! لأن الزواج به منظومة من القيم تجعل الصراع يظهر، لأن طرفا العلاقة ليسا على قدم المساواة بداخله من منظور قيمي فنحن الآن لا نعرف كيف نتزوج ولا نرى أن الزمن تغير لنغير هذه العلاقة!! بالتطوير بالطبع فأنا لا اطلب بقتلها كما تدعي وإلا سيحدث لنا ما حدث من انهيارات اجتماعية أخلاقية في مجتمعات أخرى فأنا أم وزوجة وأعشق هذا العش.

ولكن لندخل في مشكلة (المرأة العاملة) ألا تستحق نظرة في التعاون معها داخل شئون المنزل؟! (المهر والشبكة والشقة وال أربع غرف) هذا صعب ولا يمكن، الغرب يعرف (الحجرة الأستوديو) غرفة واحدة فيها كل شيء.. أليس هذا أنسب وبخاصة ونحن من العالم الثالث؟! ولذا أعود فأذكرك بما حدث من سياق (روائي) في (وصف الليل) حينما ظهر رجل خارج إطار قيم مؤسسة الزواج ماذا حدث للبطلة "هاجر" التي كانت قد قاطعت الرجال؟! اهتزت تركت كل ما وراءها من أجل رجل تقف معه على قدم المساواة.

قلت لها: بمناسبة روايتك "وصف الليل" لقد جعلت الجمال صفة ذكورية، والمرأة تصف حبيبها، جبينه، عيناه، جبهته.. إيه الحكاية؟! قالت: متى كان يجري في الأدب العربي الحديث كلام عن "جمال الرجل"؟! حينما يكون الأمر في علاقة مثلية وهذا في الأدب الأوروبي أيضا وقلما يكون هناك كلام عن جمال الرجل في مجمل الأدب. ولكن عظمة القرآن، وبخاصة في قصة "يوسف وإخوته" عليه وعليهم السلام.. الغواية التي حدثت لامرأة

العزيز والنساء اللائي قطعن أيديهن أليس هذا دلالة على الاعتراف بالجمال عند الرجل وهذا موجود في التراث الشعبي في مصر والمغرب والعراق، ولكن الأدب الذكوري تاريخياً غلف ذلك وطمسه وأخفاه، ولأن المرأة لا تستطيع الإفصاح عن جمال الرجل بسبب منظومة القيم (ولكنه هو يفصح ويصبح ذلك دلالة فحولة).. فحينما تطرح منظومة الجمال عند الرجل أدبياً وبخاصة على لسان امرأة نجدها تتحدث عن الشهامة والكرم والأصل والعراقة.. وأنا ما عرفت امرأة أحبت رجلا لشهامته؟! بل إن في الطبيعة ذكور الحيوان أجمل من إناثها "الطاووس – الديك"

● هل الجامعة الأمريكية أعطت لدارسة درجة الماجستير في الأدب حينما وضعتك مع نوال السعدواي وأليفة رفعت في خانة واحدة"كاتبات الأدب المكشوف"!!

– إنني لا أحبذ الكتابة في المناطق المحظورة أو ما تسميه بالأدب المكشوف، ولكن أحياناً لا تفهم سخرية أدبي على مقصدها ورمزيتها كما حدث لي مع رقيب مجلة الهلال في قصة "عجين الفلاحة" حينما فهم كلمة (اعتلاء) بمعنى مشبوه!! إلا إنني لا أدين سلفا أية كتابة تأتي في ذلك السياق – ولا أقدس سياسة التلميح دون تصريح في الأدب: فأية حدة، صراحة، وضوح – أحترمها على شريطة أن تكون فناً وإبداعاً جميلاً، وهكذا أحببت "الخبز الحافي" لمحمد شكري رغم وصمها باللا أخلاقية، لأني اعتبرتها رواية أصلية في تعاملها مع سواقط الطبقات والخوارج الاجتماعية المهمشة. والكاتبات العربيات محرومات أو غير قادرات كما

تقول د/ هدى وصفي من أن يدخلن للتابو لأن القمع المتوارث والفارض لرقيب داخلي لدى المبدع يستطيع الظهور في أية لحظة حتى ولو ضعفت سلطة الرقيب الخارجي أو توارى.. إن بعض الكاتبات المقربات لي بعد رواية "وصف البلبل" قالوا لي: كل ده كان فين؟! وكأني قد مسست بالفعل لا بالكتابة جانباً من المحظور!! واندهشت، بل إن لي خبرة سابقة جعلتني أفضل الدوران حول الأرض دون الولوج إلى سكة الثالوث المحرم فعندي قصة اسمها "إحدى وثلاثون شجرة جميلة خضراء" كانت بطلتها قد ذهبت إلى عملها ذات يوم، دون ارتداء حاملات صدرها، وبقدر الاستنكار التي قوبلت به من قبل زملائها في القصة، فقد لاقيت أنا الكاتبة سخرية أخرى من نوع آخر لنفس السبب!!

● استعارت لطيفة الزيات عنوان أحد قصصك القصيرة "كل هذا الصوت الجميل" لتجعله عنوانا لكتابها عن النقد في الأدب النسائي، فهل كنت تقصدين أن تقولي: إن صوت المرأة جميل، ولكنكم جعلتموها تشعر بأنه (عورة) فانتهى جماله.. وكذلك جمال ما تكتب؟!

– أنا اعتقد أن المهمشين هم الصوت الجميل !!

● يقولون إن الترجمة الآن هي التلويح الغربي للتطبيع الثقافي مع إسرائيل وإن هناك بعض المترجمين بالذات يخلطون الأوراق ويلعبون هذه اللعبة أقول ذلك بعد اتساع حركة ترجمة كتبك وحصولك على جائزة الإذاعة الألمانية..

– إنها حكاية نوبل محفوظ تتكرر كلما قدرنا الآخر وحصلنا على جائزة بالعرق والجهد قيل وراء ذلك إسرائيل!! مع أن التطبيع وضع عربي، واتفاق عالمي، ووضع قائم، ولا يصح أن ندين مثلا على سالم على شيء يفعله القادة السياسيون، إلا أن مزاجي الخاص ضد ذلك.. هذا الشيء ليس له تعليل عقلي ولكنه شيء وجداني، تاريخي، وراثي.. أنا كسلوى بكر [*] الإنسانة الوحيدة الضعيفة، أرفض التطبيع مع اسرائيل!! وسأحكي لك ما حدث معي بعد حصولي على جائزة الإذاعة الألمانية، قد طلب مني مدير معهد (جوته) بالقاهرة مقابلة مع كاتبات إسرائيليات يزرن مصر، واستغرب لرفضي، والغريب أنه بعد ذلك الرفض فوجئت بأن بعض هؤلاء الكاتبات يتصلن بي تليفونياً للتعرف بي، وحينما أكدت على الرفض اتهمت على الجانب الآخر (بالتخلف)، وقيل لي: إن سفيركم عندنا، وسفيرنا عندكم.. فلماذا لا؟!.. ولم أرد!!

---

[*]سلوى بكر .

- من مواليد القاهرة ١٩٤٩ .
- حاصلة على بكالوريوس في المسرح – المعهد العالي للفنون المسرحية ١٩٧٦ .
- متفرغة لكتابة الرواية والقصة القصيرة .
- يصدر لها أكثر من رواية ومجموعة قصصية، أشهرها (وصف الليل) و(العربي الذهبية لا تصعد إلى السماء) و(أرانب).

كالنورس.. فوق البحور والشطآن!!

شهادة

"من بين الغصون المخضبة بلون الربيع رأيتها، محلولة الشعر تلتف بملاءة سوداء تكاد تنزلق من على كتفيها تتشبث بها محاولة يائسة تصنع شيئاً عجيباً وهي تقترب خطوتين إلى الأمام، تتوقف وتلطم خديها وعيونها محدقة في فراغ.. إلى أين وما خطبها؟!.. عندما رأيت هذا المشهد الصغير كدت أصرخ عبر نافذتي –كلنا هذه المرأة – حدث جلل لا بد حدث لها –كنا بعد الهزيمة – وقد أصابت الطعنة قلوبنا، نحن جيل تربى في أحضان حركة وطنية وقيام ثورة، ارتبطت الثقافة لدينا بالسياسة وظللنا نكدح ليلا ونهارا من أجل التقدم والتغيير وحياة أفضل "كلنا إذن هذه المرأة " لعنة الملاح التائه فد حلت بها، لا مرسى لا مرفأ أو فنار يلتمع أمامها. تفجرت تداعيات الموقف راحة وحشية تنعم بها المرأة، تسير بكبرياء حزين رافعة رأسها.. تمثل حالتي وحالة أمتي – وددت لو أفعل مثلها "أعانق لذة الجرح والنزف الخارجي" – مجنونة أسير مثلها . أهوي على صدغي محلولة الشعر لا أبالي" أتوق لتلك المشية المغيبة.. تتجاوز الإدراك والوعي، أكسر حاجز الصمت.. أرفع صمام الاحتراق الداخلي.. أجهض حزني على الطريق العام.. تتصاعد أبخرة الغضب، لقطة سريعة مكثفة – ومرور سيدة أمامي على هذا النحو أوحت لي بالقصة القصيرة "مجنونة" ومن خلال علاقة تماثل وتقابل عبرت عن حالتي الخاصة وحال الناس جميعا

فوزية مهران

أعترف بأنه في كثير من الأحيان، يشغلني الكاتب من عنوانه!! وقد دخلت لمغارة كاتبتين من عناوين ما يكتبن: فوزية مهران وغادة السمان. شغلتني غادة بتراكيب عناوينها: "الأعماق المحتلة"، "القبيلة تستجوب القتيلة"، "الجسد حقيبة سفر".

وشغلتني فوزية مهران (*) من إصدارها على عنوان "البحر" في كل أعمالها: يد البحر، جياد البحر، البحر رجل، وأخيرا مجموعتها القصصية "أغنية للبحر"!!

وحينما قرأت غادة السمان "البحر يحاكم سمكة" قررت أن أفعل ذلك مع "فوزية مهران" فهي الأنسية التي تستطيع أن تتنفس بما تكتب تحت الماء.. وتحوم كالنورس فوق الجسور والشطآن البعيدة والغريبة.. وتحفظ ما قاله يونس في بطن الحوت فيكون الماء برداً وسلاماً عليها!! ولها

(*) فوزية مهران عيسى .

- مواليد ١٩٣١ الإسكندرية .
- عضو مجلس إدارة روز اليوسف (٨١ – ٩١) ونائبة رئيس الكاتبات .
- خريجة كلية الآداب جامعة القاهرة قسم اللغة الإنجليزية ١٩٥٦ .
- أسهمت في تأسيس مجلة صباح الخير .
- نشرت أول مجموعة قصصية لها (بيت الطالبات ١٩٦١) .
- لها ثلاثية البحر : جياد البجر / حاجز أمواج / السفينة .

عبارة مائية متكررة "دفقة" فهي لا تستعمل غمر أو انهال أو انهمر وإنما "دفقة واحدة".

أما الغريب تلك الأسطورة الواقعية الحقيقية التي عاشتها كاتبتنا فوزية مهران، أن يتوحد عندها البحر بالحلم فيولد في الواقع البحار الزوج والحبيب فهي من مواليد "الإسكندرية" ولدت في المالح وكانت زوجة للقبطان "مرشد علام".. أما ما تكتبه فهو عن البحر الرجل والبحر الحلم والبحر البراح!!"

* **الغوص لعمق** (١)

قلت لها: الموج الأزرق في أدبك يجرجرني نحو الأعمق.. أزرق.. أزرق.

قالت: تقصد البحر وكيف لا؟! وأنا ولدت ونشأت على ضفاف البحر في الإسكندرية ودمياط وقد أخذني البحر فعشقته سرقتني جاذبيته حتى توحد عندي الحلم في زوجي القبطان الذي أبحرت معه في كثير من الإلهامات في الحياة والأدب وكل الأشياء في يدي لعشقي للبحر البحار تتحول للغة مائية حتى أن لي كتاب أستعد لإصداره عن "نجيب محفوظ" سميته: "سفينة نجيب محفوظ"!!

فأنا آخذ هموم الأرض وأبحر بها للبحر لأتأمل وأرى فالبحر براح كل الأشياء فيه على طبيعتها بلا زيف.. ألا تشاهد حكمة الله في البحر بأن

جعل منه وعنده الشروق والغروب، بل إن همي في البحر صار دراسة مستمرة فقرأت عن البحر في "القرآن الكريم" وعجبت وأعجبت بقصة سيدنا يونس وحوت البحر!! وزلزال انتاب كياني لعبارة في القرآن (وكان عرشه على الماء) ففي البحر أنت مع الله، هو وحده الناجي والنجاة.

أما زوجي الذي عمل في البحر ونقل لي مصطلحات البحارة، وعرفت كيف تستحيل الحياة لدى البحار بدون بحر حتى أنه حينما توقف عن العمل في البحر الأحمر بسبب الحرب.. قال ليس لي إلا العودة لقريتنا (بحر ٣) وكأنه يرفض أن يسمى بلده سندبيس باسم أرضي بل جعلها (بحر ٣) بعد عمله في البحر الأحمر والأبيض ولم يعد للقرية ومات وكتبت قصة (بحر ٣) بنفس المعنى!! وشعرت بأنها التي قال فيها الشاعر نزار قباني (في البحر، أرفع مرساتي وألقيها ألا تراني ببحر الحب غارقة، والموج يمضغ آمالي.. ويرميها..).

فسألتها عن النهر.. نهر النيل الانتقال بعد ذلك لضفافه في المنصورة والقاهرة؟!

وقالت: في الريف لا يعرفون كلمة النهر ففي المنصورة يقولون لك (شارع البحر) وهو شارع على النهر أنا عندي نفس التوحد في المعنى، بل إن الاسم الحقيقي لأشهر شارع في القاهرة على النيل هو "شارع البحر الأعمى" ولا أعرف من أين أتت له اسم (الجبلاية)

قلت لها: هل توحد عندك الحلم بالواقع والعام بالخاص على نفس المستوى في أدبك بمعنى أننا في كثير من الأحيان نجدك تطلين كبطلة من بين أوراق قصصك.. لقد قلتِ أنك فعلتِها في بحر٣ وأنا أرى أنك كررتِها في" قصة مزداد" وفي المجموعة القصصية "بيت الطالبات"؟!

قالت: تبقى ملاحظتك صحيحة تماماً.. لماذا لا تكتب في النقد؟! فأنا وجيلي ليس لنا تاريخ منفصل عن ما نعيشه وأحداث الوطن ويبقى خلط الخاص بالعام دليل صدق عند الكاتب فقصة "مزداد" وهي تحكي عن ولادة طفل بين يدي هي قصة حقيقية ومشاعري فيها كانت كما قرأتها إنها قصة (زياد) ابن ابنتي!!

قاطعتها قبل أن تكمل إجابتها وقلت عندما أقرأ (شاهدت ميلاد كثير من الأطفال.. ولدت عدة مرات "النخلة ذات البنات الخمس" كان يراني ويشير إلي باسماً.. يولد الغد في دمي.. ويكون سلم الزمان في يدي) أشعر وكأنك قد حققت في (مزداد) حلماً لطالما راودك في ولد (ذكر) لقد وصفتِ نفسك بالنخلة ذات البنات الخمس أقصد (نادية ومنى وعايدة ودينا ونور)..

استمرت في الإجابة ولم ترد؟! ولم تعلق؟! ولكني اكتفيت بما في القصة "أشهد مولد حبيبي.. أعرفه طفلاً كبيراً واعياً.. أمه لا تزال بالداخل أستقبله ونولد معاً من جدي.. أحتضنه وأنا جدته الآن.. وأنا شابة

صغيرة.. وألتقي به فوق الماء.. يمتطي جياد البحر ويترجل فارساً من رسوم السحب المتحركة".

استمرت: القاهرة كانت حلمي الأكبر ورمز الحرية والاستقلال والنجاح فالتحقت بجامعة القاهرة كلية الآداب قسم اللغة الإنجليزية وأقمت لمدة أربع سنوات في (بيت الطالبات) فلم يكن أبي قد نقل بعد من المنصورة وهو من رجال التعليم ومنذ اليوم الأول شعرت أن وجودي في هذا المكان هو أن أكتب عنه.. عن الـ (٥٠) فتاة القادمات من محافظات المحروسة.

وكانت الكتابة نوعا من تخفيف غربتي، اندمجت في هذا الواقع وعايشته فكانت هذه المجموعة القصصية (بيت الطالبات)، وقد تحولت فيما بعد لفيلم سينمائي بنفس الاسم كان بطولة: نيللي، ولكني لم أكن في المجموعة من ضمن البطلات، ولكن في مجموعتي القصصية الجديدة (أغنية للبحر) في القصة التي تحمل المجموعة اسمها عدت مرة أخرى لبيت الطالبات ورددت أغنية البحر القديمة عن فارس يحب عبر البحار والمحيطات.. بين الماء والسماء، من البحر يجيء يلوح كومض الأمل المولود.. وأشعر بذلك أني أكملت قصص "بيت الطالبات"!!

* **عمق (٢)**

* كيف خلطت بين الأدب والصحافة.كيف وضعتهما في زجاجة واحدة؟! ألم تغير صاحبة الجلالة من الأدب؟!

– هذه محطة رائعة في حياتي لأنها مرتبطة بإصدار عشت طلقات ولادته وهو مجلة "صباح الخير" وكان ربانها وهو أحمد بهاء الدين صحفي الأدباء وأديب الصحفيين فهو الذي استطاع أن يجعل فيها الأدب والصحافة في زجاجة واحدة بلا غيرة ولا تنافس وأنا أتحدى من لم يستفد من الأدباء من صباح الخير؟! فليرفع يده فصفحة (حكاية) التي قررها أحمد بهاء كتب فيها الجميع أنا، ويوسف إدريس، وإقبال بركة، وآخرون فهي مجلة تقوم على فكرة أساسية وهي ما يقوله الشباب وما يجب أن يقال للشباب.. حتى صفحة (حكاية) كانت لا تهتم كثيرا بحرفية وفنية القصة وإنما يريد أن يكتب الشباب مشاعره فهي "حكاية" وهذه بصمة تحسب بالطبع (لأحمد بهاء) وقد استفدت من الصحافة بتعلم العبارة المركزة والقصيرة المكثفة التي تصل إلى قلب وعقل القارئ بسرعة وعمق.

● من كثرة ما كتبت عن زوجك البحار.. شعرت بأنك تؤمنين بأيديولوجية هندية في الرجل الواحد والحب الوحيد والحبيب الذي لا يعوض فهل إذا مات الحبيب، فلا رجل.. لا عاطفة؟!

– لست صاحبة أيديولوجية في الحب، ولا مع المعتقد الهندي بأن يكون للمرأة رجل واحد يحرقوها معه إذا مات، بل إني تزوجت قبل زوجي البحار وأنجبت من غيره. وإذا رجعت لبعض قصصي وأعترف بأنها قليلة مثل: "رجل في الوسط" ستجد هذا المعنى يمكن أن يحركنا رجل أو عاطفة ولكن يجب ألا نسير وراءها صد أي وضع أخلاقي أو ديني فالقصة تتحدث عن إعجابي بممثل مشهور (جعل الشاي له مذاق آخر وللكلام

حضور آخر) ولكني أنهي القصة بسخرية لطيفة صنعها العقل حينما تتذكر البطلة أنها أم وليست حرة تماما.. حيث جاءت الابنة وقالت لها "لو أنه كان أصغر قليلا يا أمي" وفي نفس الوقت الذي كانت فيه تفكر "لو أنه أكبر قليلا!!"

* الغوص للأعماق (٣)

توالت أسئلتي.. وجدت الإجابات تبعد عنها.. وكأن فوزية مهران قررت أن تدخل قوقعتها. ضمت يدها على نواتها الداخلية وكنزها وبأقصى ما أوتيت من قوة ألقت بنفسها في البحر.. شعرت بأن بوحها المتدفق توقف، ولذا فأنا أنقل ما قالته وما سمعته فهو على درجة من الأهمية ولكنه ليس الإجابة على أسئلتي!! ولكنه عالمها الخاص.. المسحور.. قالت: أحب التعبير عن نفسي بالكتابة.. وأحب التعبير عن إعجابي بالآخرين بالكتابة، ومن هنا فالكتابة والنقد عندي جناحان لرحلة الإبداع.. النقد عندي إبداع مواز للنص ذاته، فأنا لا أكتب مجرد تحليل أو نقدا أكاديميا، ولكني أحتفي بالعمل عن طريق النقد، ولهذا فأنا لا أنقد أي عمل، وإنما البداية عمل له مستوى. أنا أسميه "النقد الإبداعي"

قالت: الثقافة والمعروفة هي الأصل عندي فالكتابة بلا روافد.. كتابة هشة. ولأن جذوري دينية. فأنا عشقت القرآن وأخذني أسلوبه، ولهذا جاء أسلوبي الذي تصفه "بالصوفية "وتأملاتي الشديدة كانت في قصص القرآن الكريم وقارنت بينها وبين الأدب العالمي بحكم دراستي في كلية الآداب

قسم إنجليزي. ولي كتاب "مواقف معبرة" أعبر فيه عن الدراما في القرآن مثل موقف: يوسف الصديق في السجن، وطوفان نوح فما حدث ليوسف في السجن كأن سارتر نقله في مسرحيته "لا خروج" شخص ليس له أقارب في مصر دخل السجن بدون أوراق، لأنه دخل حتى تنام فضيحة امرأة العزيز، وليس عليه حكم . ثم مات العزيز وتغيرت إدارة السجن. موقف درامي غريب وأنا عانيت به شيئين الأول من الذي سيخرجه؟! موقف إيماني يثبت وجود الله والثاني ماذا يفعل؟! موقف إداري لذاته إنه يمارس عمله داخل السجن ويدعو لإله واحد أحد بين المجرمين والمساجين؟! وفي الكتاب وقد صدر في الستينات كنت أعني أنه لا تخلي عن القيم عن الرسائل مهما طال الخوف والضغط وهو معنى مهم في ذلك الوقت!! لا بد أن تواصل عملك ورسالتك. فالقرآن ليس كتاب تبرك ولكنه عمل، ورسالة يومية تسرى بيننا.

وعاد التواصل، فسألتها هل تكرار معنى الصبر في أدبك مأخوذا من عنايتك بصبر يوسف عليه السلام؟! قالت: أنا أسميه "الصبر الخصيب" صبر مائي مثل صبر حبة الحصوة داخل القوقعة لتصبح لؤلؤة لامعة بجمال الصبر!! فهذا الصبر نوع من تحريك نواتك الداخلية لتشع على الآخرين!!

قلت لها: لديك قَدر غير البحر، وهم غيره، وهو النساء؛ فأنت لك أخت، لا أخ، وبنات ولا بنين، وتهتمين بالكاتبات لا الكتاب أقصد أنك أم للأدب النسائي!! ولست الشجرة أو النخلة ذات البنات الخمس فقط؟! قالت: النقد أن أضع يد القارئ والكتاب على مناطق القوة

والجمال والضعف في النص. أنا أدعو القارئ بما أكتب أن يشاركني المعنى والقصد وأدعوه للقراءة للعمل.. وقد يبدو أني لا أكتب عن العيوب، ولكني أكتب عنها ولكن برفق شديد، لأني لا أكتب عن عمل قبل أن يكون له مستوى. فحينما أقول مثلاً: "إنها تشعر بأنها مركز" فهذا معناه أن الوضع يحتاج لتحليل نفسي وعلمي وأن على الكاتبة أن تعاود التفكير، ولكن بعبارة شيقة بعيدة عن التجريح، أنا أؤمن بالنقد الجميل والقارئ ذكي جداً!! أما وصفي بأني "أم الأديبات" فهو جميل ولكن لي ملاحظات على تقسيم الأدب بمعنى تقسيم المبدعين والنقاد إلى ذكور ونساء فأنا أرفض هذا التصنيف الجائر العنصري فالقيمة الحقيقية هي للعمل هو أدب أو لا أدب!! وعلى الرغم من نقدي لأعمال الكثيرات فأنا أيضا كتبت نقد ودراسة عن أعمال نجيب محفوظ ويوسف إدريس وعلى العموم أنا لا أنقد إلا الكتابة التي لها نفع وتحدث جمالا في الحياة وتجعلها محتملة ومستساغة، وحتى أبرئ نفسي فأنا اكتشفت كاتبا اسمه (شحاته عزيز) هو كاتب صعيدي شاب، أعتقد بأنه سيكون نجيب محفوظ آخر ولكن للصعيد، فهو يخلد الصعيد كما خلد نجيب محفوظ المدينة في مصر، وله روايتان: (جبل الأولياء) و(البر الغربي)!! فهو سيؤرخ للصعيد وللقرية بعد ما فعله نجيب في الحارة المصرية.

لا أكره الرجال..!

والحركة النسائية ليست عدوًا للدين ولكنها عدو للسياسة!!

شهادة

"أعتقد أن الطب منحني الألم والمعاناة.. أما علم التشريح فجعلني قريبة جدا من الجسد!!

الإبداع يعني أن أعيش طفولة طازجة، لأن الطفولة هي المرحلة العمرية التي لا يتدخل القهر للفصل فيها بين الروح والجسد، الحاجة الروحية العاطفية ومتطلبات الحياة والجسد".

"قضية المرأة.. علم.. وهذه القضية أخذت مني ضعف دراسة الطب، لأنها قضية تمس الحياة والحضارة والأديان وعلم النفس، وهي بالنسبة لي قضية سياسية، وقضية وطنية في المقام الأول".

نوال السعدواي

موعد، ولقاء، وفنجان شاي، وسكارين، وأسئلة، وتساؤلات، وتردد، وإجابات، وعطش، وسعال، واعتراف، وكوب ماء، ومغالطات، وذكاء، وتذاكي، وكلام، ودخان، وقناع، وأقنعة، وتليفون، وضحكات، وسيرة،

ورأي، وصدق، وكذب، وريشة، وهواجس، ورسام وظلال، وكاتب، وقلم، وروائي، وشهرة، وحوار، وإبحار.

إنها المرأة التي قابلتها سنة ١٩٧٢ بالشورت وأنا أركض أبحث عن الحب والحياة والناس، فكانت أول بوابة رئيسية في الطريق، وكان كتابها "المرأة والجنس" بداية اللعبة في بلاط صاحبة الجلالة الصحافة، إنها التي كتبت وقرأت: أن تحويل المرأة إلى سلعة تباع وتشترى باسم الزواج نوع من البغاء المقنع بقناع الشرعية ويتناقض مع جوهر الشرف ومعناه السامي. ولا زلت أسألها: ولكن يبقى دوماً العشق سؤالاً على الشفاه بلا إجابة مريحة، ولكن تبقى لتلك البوابة الأنثوية مكانتها في السؤال؟؟..

فهل نوال السعداوي هي بطلة همنجواي في روايته "وداعاً للسلاح"؟ إنها كاترين!! "فحين يعرض الملازم هنري على حبيبته الزواج تقول له في ثقة: إننا متزوجان فعلا .. أنا لا أستطيع أن أكون متزوجة أكثر مني الآن؟ فإذا قاطعها استطردت: لا تتكلم وكأن عليك أن تجعل مني امرأة شريفة؟! أنا امرأة شريفة جداً، ألا تثق في حبك لي؟

هذا الفهم العميق لحقائق الجنس والحب والشرف تفهمه نوال السعداوي "فالشرف عند كاترين أن تقيم علاقاتها الاجتماعية – ومنها الجنس – في حرية تامة من الأغلال التقليدية إنها تحب هنري، وهذا يكفيها لأن تمارس حياتها معه" .

أضغط على جرس الشقة رقم "١٨" في الدور الخامس – المواجه لحديقة الحيوان بالجيزة. كانت الكنيسة الملتصقة بعمارة منزلها تدق أجراسها – وكان على باب شقتها يافطة باسمها؟!

تستقبلني كإيزيس المصرية – بكاب أخضر وحشمة بالغة، اعتدت أن أراها تغلق آخر زرار في قميصها عند الرقبة، وبابتسامه محسوبة تقودني إلى غرفة المعيشة – ألاحظ شعرها الأبيض الشهير الذي يسافر مثل أدبها إلى كل الدنيا (على رأي عبد الحليم حافظ ونزار قباني).. أقابل زوجها الثالث د. شريف حتاتة نسمة هادئة تجمع بين الذوق والأخلاق في جسد. في غرفة المعيشة مكتبة بلاكار بيضاء بطول الحجرة، وبها أكبر عدد من الشلت!! وإن جلست تلقيت نصائح كثيرة عن استخدامها للجلسة الصحيحة لأن أشد الآلام ما كان في الظهر!! كانت د. نوال عائدة من السفر، وعرفت أنها على سفر آخر، وأن شراع مركبها من سنتين على الأقل لم يستقر على ساحل النيل.

أستعد لمحاورة امرأة من برج العقرب ولدت في ٢٧/١٠/؟؟؟؟ فهل فيها صفات (جريس كلير وبابلو بيكاسو، والمطربة صباح، مواليد نفس برجها) ورجوت المريخ أن يدخل الزهرة أقصد ألا تحول الكواكب دون حميمة الحوار!! فأنا رجل من برج الثور..

قلت لها: منذ سنة ١٩٧٢ وحتى الآن وأنا ساقط في هوى ما تكتبين ولكن منذ "المرأة والجنس" وحتى رواية "الحب في زمن النفط" لا أشعر أنك

وصلت لصيغة نرتاح لها أو ترتاحين لها في العلاقة بين الرجل والمرأة.. لقد تعجبت كثيراً مما كتبت في أحد أعداد مجلة "فصول" عن تجربتك في الكتابة وعلاقتها بتجربتك الحياتية.

قالت: "في مرحلة ما من تجربتي الحياتية خلفت الأطفال، وتزوجت حتى الثمالة أكثر من مرة ومع ذلك لم أشعر أبدا بدخول الهواء إلى صدري بل العكس هو الصحيح".. يزداد اختناق المرأة بازدياد تفانيها في مؤسسة الزواج. هكذا ظهرت لي الحقيقة.. فماذا نفهم؟! في شهادتي بمجلة فصول أدنت العلاقات الزوجية التي تمنع المرأة من الإبداع، وأنا ضد الصيغ النهائية للعلاقات الإنسانية وأنا اجتهد فقط لتحسين الحياة فأنا لم يفلح معي الزواج السلطوي حيث تدافعت السلطات المترابطة على شكل الهرم الأكبر، ووضعتني في فراش الزوجية لم ينجح ذلك.. هل لأنه بلا معرفة مسبقة، أو بلا حب، أو لأن به ضغط سلطوي من البيئة والعادات!! لا أعرف.. ولم ينجح زواج آخر رغم اختياري حينما وجدت أن المرأة المبدعة تحظى بزوج يكتئب إذا نجحت ويسألها عن أفكارها، وأصابني الاختناق من سؤاله: لماذا لم أطبخ؟ كيف نسيت فنجان البن؟ وأنا مسروقة ومشدودة للقلم. لماذا لم أغسل وأنا أهيم مع وحي الإبداع؟! لم يعجبني هذا النمط وجاء زواجي من د/ شريف حتاتة وأنا مرتاحة فيه ولكن لا يعني ذلك توقفي عن تجويده أو عن الشكل الأجود فمثلا أنا سافرت وحدي وتركت د. شريف لمدة طويلة جداً بمفرده!!

ودائماً يقال لي هذه العبارة: مادمت تنتقدين النظام الأبوي في الزواج أو زواج الورقة واعتراف الآخرين فما هو البديل؟!

وأقول هذه ليست وظيفتي ولكنه لا توجد صيغة نهائية – روشتة علاج – نظام كهنوتي للعلاقة الإنسانية أو لما بين الرجل والمرأة – وإن وجد أنا ضده – فكيف أضعه؟! "وأتمنى أن ترتاح لكل هذه الصيغ للعلاقة فهي في النهاية: الرجل والمرأة!! فعندي فردوس في (امرأة عند نقطة الصفر) عرفت الرجل وحاولت أن تجد شكلاً لعلاقتها به، ولكنها تفشل ولا تخرج منه إلا بالقتل؟

قلت لها: "الأنا" عندك واضحة جدا، حتى أنك – في كتبك البحثية منها بالذات – تذكري نفسك على عكس ما يقول البحث العلمي من حيادية الباحث.. فأنت تكثرين من عبارات: جاءت لي وشكت.. أو قابلتها وقالت.. بل إنك تجعلين نفسك محوراً للبحث ذاته – لقد تأكد لي ذلك في شهادتك عن تجربة الكتابة حين قلت "التفاني على قمة الأعمال التي يقوم بها العبيد التفاني في الآخرين: إفناء الذات إنكار، لكن الإبداع أو الكتابة هي عكس ذلك تماما ، إنها إحياء للذات؟! قالت لي: الشجاعة في أن يضع الإنسان نفسه في البؤرة التي يبحثها فأنا إذا كنت مقهورة في منزلي وأريد أن أضرب مثلاً عن قهر النساء لماذا أبعد؟! لأتحدث عن نفسي؟؟ فكما تقف لتتحدث عن تجربة الكتابة وتستفيد الأديبة الناشئة، فلنتحدث عن تجربة الرجل! وتجربة القهر وليستفيد الآخرون فالقارئ هنا يقتنع جدا أكثر من إحصاءات وحكايات وأرقام، فأنا ككاتبة وامرأة

أخلط دائماً الخاص بالعام، وهذه ليست مسألة متصلة "بالأنا، أو النرجسية" ثم أنه من ميراث العبيد والفراعين أن تضمر نفسك وتعلي الآخرين وأنت قابع.. لماذا نتحرج من تقدير نفوسنا أنا لست معقدة بعقدة (ضمور الأنا) ولكني أعرف أهمية التواضع أيضا، ولتعرف أن التواضع بعض الوقت لا لكل الوقت، وإلا صعدت النباتات المتسلقة الضعيفة على الأكتاف. يجب أن يعرف كل قدره. وفي نفس الوقت ليس عندي حساسية لذاتي – ولا أقول إن حياتي مثالية – أو بلا أخطاء – ولكن هي حياتي أعترف وأكشف عنها لنفسي وللآخرين وهذا اتجاه عالمي الآن في دراسة العلوم – وعلوم المرأة بالذات – وأنت وأنا والتاريخ والجغرافيا والعلم والفن في بوتقة واحدة لتنتقل من عالم العلم المجزأ إلى ما يسمى "بالمعروفة"!!

وفي كتاب (المرأة هي الأصل) و(المرأة والجنس) لم أتكلم عن نفسي وإنما أردت أن أقول للمرأة كلنا في الهم سواء، ولذا قلت تعبت مثلك مرتين من الزواج، ولست مرتاحة حتى الآن لهذه الصيغة من العلاقة ولكن علينا أن نستمر ونحسن ونجود الحياة.

قلت لها: إذن فأنت لا تعتبرين نفسك مثلاً أعلى لأحد، أو بيونير "رائدة" لتحرير المرأة أو شيئا من هذا؟!

قالت: أنا كاتبة تعبر بصدق عن قضية العدالة والحق في الكون وتصادف أن المرأة مظلومة فأنصفها قلمي فلست ضد الرجل، ولكن ضد الظلم، فالرجل إذا ظلم لهذا فقط أكون ضده.

ولا يوجد عندي أنا مثل أعلى – حتى ولا والدي – حتى أكون مثلاً أعلى لأحد وأعترف لك أنني لم أمر في حياتي بمرحلة الإعجاب بأحد لا ممثل ولا ممثلة أو راقص أو.. لا أحتفظ بصورة أو أحلم "أحلام يقظة" وعلى فكرة من سيكولوجية "العبيد" تقليد السيد – أو المثل الأعلى – تطلع ممثلة نقلد لبسها، يطلع إعلان تولد عندنا الحاجة معه للسلعة التي يروج لها.. قد يعجبني أحد.. ناس كثير عجبوني.. ناس كثير ارتحت لهم، ولكن لا أحد نموذجي في الحب والحرب والحياة.

قلت لها: حدثينا عن نفسك كنموذج أنثوي خاص – فريد؟

قالت: أشرف.. إنك تجرني لأحاديث صالونات ودردشة، وأنا أنأى بنفسي عنها، وإيه نموذج نسائي؟! أنا امرأة تعرف المرأة من طريقة مشيتها ومن نظرة عيونها ومن لمحات سقطات كلامها القليل أنا صادقة وغير مجاملة ولم أعرف في حياتي (البارفان) وإنما أنا برائحة الماء دوما، لا مكياج ولا ترهل ولا استسلام ضد أحد، أنا امرأة لا يعرف عنوانها السلطان، أقصد غير قابلة للإغراء أو الإغواء!!

سيدتي: لماذا انت ضد تعدد الزوجات؟.. الرجل لن يسرق المرأة الأخرى، وإنما بإرادتها سيدخلها داره، سيتزوجها بعقد!

قالت: ولماذا أنتم ضد تعدد الأزواج، وهو نظام عرفه التاريخ القديم حيث كان ينسب الولد لأمه، كما سيحدث "أمام الله" يوم القيامة، وكان ذلك برضاء جماعي!! ولماذا نحن ضد (البغاء) والرجل يذهب ويدفع برضا (والبغي) راضية أمام الذهب.. المسألة ليست (رضا) و(عقد) و(دار) وبالتالي يكون التعدد نظاماً اقتصادياً – لا نظاماً انسانياً – من يملك ذهبا له أن يتزوج ويعدد نساء وإنما الفقير ولا زوجة واحدة "ده ما معهوش يبقى ما يلزموش" لهذا أنا لا أحب الزواج بورقة، وإنما الزواج "بكلمة الشرف" إذا قال الرجل أحبك يتحملها ولا يتهرب من تكور بطن امرأته لأنه يبقى الزواج "بالحب" ولا يبقى "بالعقد" ولكن يكون الزواج مجرد نظام اقتصادي لشراء النساء، وعلى العموم أنا قلت: أني ضد تعدد (الزوجات) وليس معنى ذلك أنني مع تعدد (الأزواج).

قلت لها: قلت علينا أن ننظر في تراثنا الديني، بنظرة عدل لوضع المرأة، ونظرة حق بالنسبة للجنس والحب.. ما المعنى؟!

قالت: نعم طالبت بأن يدخل الدين مناطق الخوف في حياتنا: الحب والجنس والمرأة، لأن الفصل بين المعلومات مسألة جهالة حتى في الطب كان يحدث ذلك الفصل بين النفس والجسم، أو الفصل بين المرض والفقر، وقد فصلنا الدين عن هذه المناطق بل إنني طالبت بالربط بين القهر الجنسي والقهر السياسي والعالمي؛ فمثلاً في"تونس" جعلوا هناك تحديداً لتعدد الزوجات لأن هناك نص قرآني يربط التعدد بالعدل ويقرر أن العدل مستحيل بين النساء "ولن تعدلوا"!. أو أن يحدث اختزال كامل

لتدين المرأة في ملابس معينة الحجاب والنقاب وباقي الأخلاق يا ناس؟!
أنا مع التحشم طبعاً ولكني سافرة فهل أنا كافرة إذن؟! وهل من يلبس الحجاب أو الجلباب ويقتل الناس هو النموذج المتدين؟!

نظرة تاريخية تجعلنا نؤكد الحجاب والنقاب في أحط قرون التاريخ أخلاقياً عند اليهود والإغريق وفي الجاهلية فلماذا ربطه بالإسلام وحده؟ وإنه دليل الأخلاق، المحجبات على عيني ورأسي هذه حريتهن، ولكن نحن السافرات لماذا لا نعامل بنفس المساواة على العين والرأس والعبرة هي محك السقوط نفسه!! ثم إن الجنس له أهمية في حياة الرجل فالرسول – ﷺ – يقول "والذي نفسي بيده ما من رجل يدعو امرأته إلى فراشه فتأبى عليه، إلا كان الذي في السماء ساخطاً عليها حتى يرضى عنها"، فلماذا لا يكون له نفس الأهمية عند المرأة وكيف نطالب المرأة أن تكون قبل الزواج "كائناً لا جنسيا"، وبعد الزواج كائناً جنسياً من الدرجة الأولى، ومش عايزة الناس تقول (نوال) عايزاها (ميغة) أنا بأضع أفكار تحتاج لدراسة!! خاصة وأن المرأة في الإسلام يجوز لها طلب الطلاق لعدم الإشباع الجنسي وهناك قضايا معروفة في التاريخ تقدم فيها نساء يطلبن الطلاق بسبب ذلك "كزوجة رفاعة القرظي" التي قالت: إنه يعاشرها ولكنها لا تتأجج معه فحكم لها!!

قلت لها: قلت في كتابك (الأنثى هي الأصل) في الإهداء "إلى شريف حتاتة أحد الرجال العظماء القلائل الذين قابلتهم في حياتي"، فمن باقي هؤلاء الرجال؟ قالت: المطلوب أن نحكي تجاربنا وندرسها لا أن نقول

الأسماء والتواريخ، أنا لا أفشي الأسرار ولا أقول ما يحزن الآخرين ولهذا فأنا لست مع ما فعلته (غادة السمان) مع (غسان كنفاني) واستغربت جداً من الكتاب الذي وضعني أنا وغادة في خانة واحدة من الأدب النسائي والذي ألفته (مارجو بدران)!!

(كانت الكاتبة الأمريكية مارجو بدران) قد قدمت كتاباً سنة ٩٢ عنوانه "مائة عام من أدب المرأة العربية"، وقسمته لثلاثة أقسام: الأول يضم الكتابات التي توضح إدراك المرأة العربية لمعاناتها لفقدانها حقوقها، الثاني: محوره رفض الأفكار والسلوكيات التي تسلب المرأة حريتها ككائن انساني وهو الجزء الذي جعلت فيه نوال السعداوي [*] مع غادة السمان وحنان الشيخ، الثالث: ويمثل أشكال الكتابة التي تمثل التحرك الإيجابي لتغيير أوضاع المرأة وجعلت فيه من مصر مي زيادة وأمينة السعيد) .

أسألها: سيدتي هل سفرك المتكرر لأمريكا هو بسبب روايتك "سقوط الإمام" الذي تحدثت فيه عن الإمام؟! وجعلت بطلتها فتاة اسمها بنت

---

[*] نوال السعداوي.. اسمها الحقيقي نوال السيد حبش السعداوي ، من مواليد القليوبية قرية (كفر طلحة).

- مواليد ١٩٣١ .
- تخرجت في كلية الطب في ديسمبر ١٩٥٤ في تخصص أمراض الصدر.
- حصلت على الدكتوراه الفخرية مرتين آخرها ١٩٦٦ من جامعة "إلينوي" .
- كانت أول مجموعة قصصية لها هي (تعلمت الحب) وصدرت بتقديم للأستاذ (يحيى حقي).

الله؟! وما حدث بعد ذلك من ردود أفعال؟! فقد قيل إنك مهددة بالقتل بسبب ذلك وعين عليك حرس من جانب الدولة؟!

وقالت: أنا ضد الدولة الدينية؛ لأن المرأة في الدولة الدينية مضطهدة ولا يمكن لها أن تقف بالمساواة مع الرجل في الحقوق والواجبات.. بالطبع الإسلام أكثر عدلاً مع المرأة من باقي الأديان، ولكن إذا قلنا بالدولة الدينية فهذا يعني إلغاء حركة تحرير المرأة وإلغاء عمل المرأة لأن الدولة الدينية تسلمنا للكهنوت الذي سيدعي علمه بكل شيء ليس الدين وحده ولكن حتى "الذرة" فحيث يسود النص ولا يملك إلا البعض حق تفسيره، وبالطبع لا تملك المرأة ذلك، فالنساء وحدهن الذين سيتحملن كل الوزر، وابنة الله في روايتي "سقوط الإمام" تقول هذا: (المرأة وحدها التي تتحمل وزر السفاح والحرام والمجون)

ويجب ألا يفهم كرهي للدولة الدينية على أنه ضد الإسلام؛ فأنا لي دراسات في نقاط كثيرة حول الأديان الثلاثة، ولكن حدث أن فسرت الرواية خطأ من جانب بعض المتطرفين، وفعلاً وضعت تحت حراسة الدولة لفترة، ولكني لم أعرف أني مهددة بالقتل إلا حينما نشرت "مجلة الكاتب" نشرة بأسماء الكتاب الصحفيين المهددين بالقتل، ووجدت اسمي بينهم، فبالطبع انزعجت، ولكن سفري لأمريكا كان له قصة أخرى؛ فأنا هناك لأدرس مادة اسمها "الإبداع الأدبي عند المرأة"، أي أقدم للدارسين نصوصا إبداعية للدراسة، ويسافر معي د. شريف لتدريس نفس المادة، ولكن في مصر كل شيء (بلدي وابنتي وابني وتاريخي أيضا)

موعد آخر، ولقاء جديد، وفنجان شاي يتكرر، وأسئلة متتالية، وتساؤلات مستمرة، وتردد، وإجابات، واعتراف، وكوب ماء، ومغالطات، وكلام، ودخان، وقناع، وأقنعة، وتليفون، وشهرة، وحوار، وإبحار..

أقابل بنت إيزيس كما قالت عنها صحف أمريكا..

أقابلها هذه المرة في منزلها الجديد عند النيل في منطقة "أبراج أغاخان" بشبرا، أقابلها بين السماء والأرض في الدور ٢٣ حيث تسكن!!.. في عينيها بريق يتحدى الأسئلة، وفي صوتها نبرات لا تفقد الحماس.. التحاور معها يقول لنا أن هناك خللاً في الحياة لن يستقيم إلا بالحرية والإبداع .

جلست أمام د. نوال السعداوي، وبدأت أقدم لها قائمة علامات الاستفهام. سألت نوال السعداوي:

● أنت طبيبة نفسية وروائية وقصاصة، ترى بأي صفة تفضلين مخاطبتك؟

– أنا روائية وقصاصة في المقام الأول، وبعد ذلك يأتي الطب النفسي

● فلماذا؟!

– أجمل لحظات حياتي، حين أجلس لأكتب قصة أو رواية، أنا أحب الفن وأحب الإبداع، مع أن الطب النفسي يحتاج أيضا إلى إبداع كبير، ولكن تبقى مساحة الإبداع في الفن والفكر والكتابة، أكبر من مساحة الإبداع في العمل الاجتماعي أو ممارسة الطب النفسي، القوانين والقيود على التفكير المبدع في العمل الاجتماعي، أكثر منها في الفنون فالكتابة الفنية والأدبية، تتجاوز الأديبة أو الكاتبة كل القوانين، وتكون أكبر من كل قيد، وهذا من أسرار المتعة التي تشعر بها كل فنانة خلال عملية الإبداع.

● كم كتاباً قدمت إلى المكتبة العربية؟

– لي ثمانية وعشرون كتاباً من بينها ست دراسات علمية عن المرأة والرجل، والباقي أعمال أدبية تتنوع ما بين الرواية والقصة القصيرة والمسرحية والمذكرات.

● ما تصورك للعلاقة بين الفن والطفولة؟

– الفنان أو الفنانة إنسانة احتفظت بطفولتها ولم تبتر ذاكرتها الطفولية الفنانة حياتها سلسلة متصلة من الماضر والحاضر والمستقبل في منغومة واحدة جميلة. هذه المنغومة تصنع الإبداع وبسبب التربية الخاطئة القائمة على التخصص الضيق، فإن كثيرين يفقدون بذرة الإبداع، فالإبداع

عملية تذكر مستمرة للماضي، في ضوء الحاضر واستشراف رؤى المستقبل، الفنان طفل، والفنانة طفلة تلعب وتتخيل وتكتشف دون حدود أو أجراس.

● وما تصورك للعلاقة بين الفن والجنون؟

– للفنان أو الفنانة نوع خاص من الجنون، وهو الجنون المنتهي بالعقل المجنون إنسان يكسر الأشياء ويدمرها ويتجاوز الحدود ثم يقف.. أما الفنان فهو بعد التكسير ونجاوز الحدود قادر على إعادة ترتيب الأشياء بشكل أكثر حرية وجمالا، ولهذا فإن الفنان او الفنانة تصل إلى حافة الجنون ولا تجن، بل تظل عاقلة وأكثر عقلانية من الآخرين. والفنان أكثر الناس عرضه للجنون، إذا توقف إبداعه، أو فرضت القيود على أعماله.

● هل لك عادات معينة تصاحب عملية الإبداع؟

● أحب أن أكتب وأنا أتطلع إلى السماء، أو إلى الأشجار، لا أستطيع الكتابة وأنا أواجه رفاً أو كتباً أو جدارا، أكتب على ورق غير مسطر ومن النوع الرخيص القلم الجاف مريح وأفضله أسود، وأثناء الكتابة لا أشرب شاياً أو قهوة وعندي كرسي خاص يجعل ضغط الجسم على الساقين وليس على الظهر. بإمكاني الجلوس لمدة طويلة دون أن أشعر بالزمن أو التعب

• ما هو أسلوبك في الكتابة؟

- لكل كاتب أو كاتبة روحها الخاصة التي يمكن استشفافها عبر السطور، لكن داخل هذه الروح، هناك عدة أساليب، فالموضوع يفرض لغته وأسلوبه.

• يقال: إن الأديب يكتب في حياته كلها عملاً واحداً هو العمل الأول، وتأتي الأعمال الأخرى نسخاً معدلة. ما رأيك؟

- هذا صحيح إلى حد كبير؛ فالكاتب أو الكاتبة تضع في عملها الأول أساسيات اهتمامها، وما يشكل همومها وأحلامها، وتضع كذلك بذور اللغة التي تستخدمها. ومع كل عمل لاحق، تختلف الشخصيات، تتنوع الموضوعات وطرق صياغتها بحكم النضج والخبرة،كل هذا في إطار الاهتمام الأساسي الذي ظهر في العمل الأول، فالكاتب أو الكاتبة تحدد في عملها الأول "أرضها" الخاصة، والأرض تثمر في كل مرة ثماراً مختلفة

• وماذا عن وصف أفكارك بالتطرف؟

- لست متطرفة في أفكاري أنا طبيعية تماماً وحماسي للتقدم وللعدل طبيعي وإن رآني البعض متطرفة فهذا ليس عيبا، لأن تطرفي هو لحركة الحياة وتجددها، وازدهارها، والإنسان قد يبدو متطرفا، لأن الآخرين خاملون.

● ما رأيك في نفسك كأم وزوجة؟

– أعتقد أنني نجحت في إيجاد أسرة جديدة مبدعة مزجت بين العلم والفن لقد ضمنت لابني ولابنتي حرية، وأمان النقد فأنا تربيت على هذه الحرية في التفكير، كنت أسأل أبي عن كل شيء كنت أنقده وأناقشه وفي حواره معي كان يخاطب عقلي. وعلاقتي بزوجي شريف حتاتة وهو طبيب وروائي أيضاً قوامها الاحترام والتعاون في حمل المسئولية.

● ماذا تقدرين في الرجل؟

– أقدر في الرجل إبداعه، فكره المتفتح، احترامه للمرأة، ثقته بنفسه التي تمنعه من استعراض شواربه أو عضلاته، وأقدر الرجل الرقيق الذي لا يخجل من دموعه ومن لحظات ضعفه.

● ما هي الرواية التي قرأتها حديثا وأعجبتك؟ والرواية التي قرأتها في سن مبكر وما زلت تذكرينها؟

– رواية (ضوء في أغسطس) للكاتب الأمريكي الشهير وليم فوكنر في هذه الرواية، استطاع فوكنر أن يشدني منذ البداية رغم صعوبة القصة كما أنها مكتوبة بشكل فني بديع، فهي على شكل طبقات وتدريجياً تكتشف طبقة وراء طبقة من الرواية ومن شخصية البطل وفي النهاية تكتمل الصورة بشكل مدهش، وفي سني المبكر أتذكر الأيام لـ "طه حسين".

● هل تحبين الموسيقى والغناء؟

– بالنسبة للموسيقى العربية، أحب الأغنيات القديمة لـ "عبد الوهاب" و"أم كلثوم" و"ليلى مراد" و"أسمهان" وأحب "سيد درويش" خاصة لحن "زوروني كل سنة مرة" أحب الاستماع إلى مؤلفات تشايكوفيسكي، موتسارت وباخ وفيفالدي، وأحب فالسات يوهان شتراوس، وتطربني الموسيقى الإسبانية الأندلسية، وأي توزيع جديد للموسيقى يمزج بين الروح الغربية والشرقية يستهويني ويطربني.

● د. نوال.. هل بدايتك السياسية بقرار التحفظ عليك ودخولك السجن في سبتمبر ١٩٨١؟!

– أعتقد أني ليس لي علاقة بالسياسة، ولكن السلطة شعرت بي وحاولت أن تجعلني متلبسة بشيء ضدها وهو غير صحيح بالمرة فلا أعرف لماذا دخلت سجن النساء في ١٩٨١؟! ولا لماذا حقق معي عام ٧٢ بمعرفة أمن الدولة؟ والحقيقة أن دخول السجن لم أتوقعه حتى في أيام عبد الناصر وبخاصة أني كنت على خلاف واضح مع وزير الداخلية وقتها (شعراوي جمعة) فهذا هو السؤال الذي بلا جواب.. ولكن جوابه واضح جداً إنه في ظل حكم الرئيس السادات تم الإعلان عن تكوين المنابر والأحزاب كبداية قوية كان يراها لاستعادة المجتمع المصري للديمقراطية المفقودة والحقيقة إنني صدفت مثل هذه الشعارات، وقلت في نفسي ربما تكون رغبة صحيحة، وعلى ذلك بدأت في حياتي أمارس النقد والكتابة

وحرية الرأي استناداً إلى هذا الإعلان فإذا بي أدخل السجن، ودائماً كنت أقولها نكتة (لأنني صدقت الرئيس السادات فدخلت السجن) وأحب أن أؤكد لك أنه رغم هذه الصحوة التي صاحبت اعتقادي بعودة الديمقراطية، فإنني لم أنضم أبداً إلى أي حزب أو أي تجمع سياسي سواء قبل الثورة أو بعدها، فلا اتحاد قوميا ولا اتحاد اشتراكيا، ولا حزب مصر، ولا أي حزب مؤيد أو معارض، أو وطني أو يسار.. طول عمري أرفض تماماً الانضمام إلى الأحزاب السياسية وحتى الآن.. وهذا نابع من إيماني بعدم الرضا عن أي حزب سياسي. إنني من يوم أن وعيت للحياة السياسية وأنا من مواليد ١٩٣١ لم أدخل هذا الميدان.. ومنذ طفولتي المبكرة وأنا أكتب؛ فقد كتبت في هذا السن المبكرة رواية بعنوان: "مذكرات طفلة اسمها سعاد"، ولكنني بدأت النشر بعد تخرجي في كلية الطب مباشرة ابتداء من أعوام ١٩٥٦ و١٩٥٧ و١٩٥٨ وعلى أية حال إنني أعتبر نفسي روائية ولست كاتبة سياسية وكتاباتي في ميادين المرأة وميدان العلم والكتابة السياسية أعتبرها نوعاً من الفن، لذلك تجدني لم أكتب حتى هذه اللحظة كتباً سياسية بالمعنى المتعارف عليه.

- كيف استقبلتِ قرار التحفظ في سجن النساء؟

– لقد كانت أصعب لحظة في حياتي هي التي سبقت دخولي الزنزانة كان المشهد مهيباً مخيفاً والظلام مساعدا على هذه الرهبة وعندما دار المفتاح في باب الزنزانة ثلاث دورات دب الصمت في أذني.. ومن بعدها دخلت إلى هذا الفراغ السحيق.. أغمضت عيني ثم فتحتها عديدا من

المرات.. كانت هناك أشياء تتحرك بالقرب مني.. تعرفت على أحد الوجوه تحت الضوء الأصفر.. هتفت بسرور: صافيناز، وتعانقنا.. صحفية وأديبة لم أكن قد رأيتها منذ سنين طويلة، تغيرت كثيراً ولم تكن ترتدي الحجاب.. رمقتني عينان من خلال ثقبين في النقاب الأسود، وسألت: من زميلتنا الجديدة؟ ردت صافيناز: الدكتورة نوال السعداوي.. صاحبة الكتب الخطيرة الكتب المليئة بالكفر، رأيت جسماً يتحرك فوق الدور العلوي لأحد الأسرة ونهضت من نومها فجأة تهتف: أهلاً نوال.. لقد كانت الدكتورة أمينة رشيد الأستاذة بجامعة القاهرة، وقد التقيت بها عدة مرات في بيتي وفي بيوت بعض الصديقات، وفي لحظات دار بيننا حوار (حول كتبي التي صدرت خاصة وأن بعض الموجودات بالعنبر اتهموني بالكفر والإلحاد) وفي وسط هذه المناقشات الحامية.. فجأة سمعنا المفتاح يدور في الباب.. انفتح باب العنبر ودخلت امرأة ثم انغلق الباب.. رأيت وجهها في الضوء الأصفر وهي تقبل نحونا وهتفت بسرور: الدكتورة لطيفة الزيات.

وتتوالى النقلات، فلقد أدهشتنى بمذكراتها عن نفسها إنها ليست صريحة فقط.. إنها تتعرى تنفض المستور، والمخبوء.. تتوضأ من الماضي وتتطهر للمستقبل. إن عملها يقف على قدم المساواة إن لم يسابق (أوراق شخصية) للطيفة الزيات، نوال السعداوي.. لغم موقوت بين ضفتي كتاب اسمه "أوراقي.. حياتي".. أوراق تعرى فيها المخبوء في أعماق النفس، تعرى فيها المستور والممنوع بالخوف من الله أو الأب أو الزوج أو الحب أو الوطن أوراق كتبتها بعيدا، في بيت صغير يطل على غابة "ديوك" بولاية

نورث كارولينا الأمريكية.. اختارت السفر بعد أن اقتلعتها قوى عاتية مثل الأعاصير، تقتلع الناس وتنتزعهم من بيوتهم، لكنه الوطن الذي سافر معها، والقاهرة التي حملتها فوق صدرها على البعد مثلما حملت أمها في سنواتها الأخيرة .

تقول في أوراقها:

إنسان.. أنثى شاء حظها ألا تكون بين الموءودات، لأن ولادتها جاءت بعد نزول الآية القرآنية الكريمة "وإذا الموءودة سئلت بأي ذنب قتلت" بزمان، وشاء حظها أيضا أن تأتي بعد أن استجاب الله لدعوة ستها الحاجة أن يرزق ابنها السيد أفندي بولد، يرفع رأسه في الدنيا والآخرة، وجاء الطفل الأول ولداً. ورغم هذا كانت ستي الحاجة، ترمقني في صمت وتمصمص شفتيها وتقول: "ياريتها كانت ولد"، وترفع عمتها يدها إلى السماء وتقول: "ربنا قادر على كل شيء" والصغيرة تنزعج، وتتمنى ألا يستجيب الله ويقلبها ذكراً مثل شقيقها الأول.

من كفر طلحة في القليوبية إلى الاسكندرية إلى منوف والقاهرة، وسجن النساء في القناطر، ليلة أن جاءوها مسبحين مؤدبين، إلى العالم الواسع، لا تستسلم للقضاء والقدر، ولا ترضى بالقسمة والمكتوب في معركة دائمة مع الحياة، من أجل تحقيق شيء آخر، هربت من الأب والأم والعريس، هربت إلى القلم ليكون الملاذ الوحيد، ليكون وسيلتها للتصالح مع الماضي والحاضر. تقول: "منذ أمسكت بالقلم، وأنا أقاوم التاريخ،

أقاوم هذا التزييف في السجلات الرسمية، أود لو أشطب اسم جدي السعداوي من اسمي وأضع مكانه اسم أمي " زينب " هي التي علمتني الحروف، أمسكت يدي تحت يدها وجعلتني أكتب: أ، ب، ت"

وقررت ألا أكتب تساؤلاتي وأتركها تفيض بحيوية إجاباتها وتمردها حول سيرتها الذاتية وكتابها "اوراقي.. حياتي".. قالت:

– الغضب بدأ ينمو في أحشائي منذ أن قالوا لي عن أخي، هو ولد وأنت بنت وفرقوا بيننا في كل شيء في العيدية كان يأخذ ٢ مليم وأنا مليماً واحدا. وإذا غضبت تقول ستي الحاجة: "ربنا قال البنت نص الولد يا عين أمك"، ويرمقني أخي الأكبر بعين تلمع بالزهو، هو يسقط في الامتحانات، وأنا أنجح وأشتغل في البيت، ولا يخفف من إحباطه إلا أن يرد وبصوت عال : "وللذكر مثل حظ الأنثيين".

.... ؟

– سافرت للقاهرة وعمري ١١ سنة جئت إلى هنا أحمل شنطة دامور وأرتدي بلوفرا رخيصا، لأقيم وأضطهد في بيت خالتي، وعرفت كيف أحافظ على عذريتي وحولي رجال كثيرون وعرفت أن خالتي طردت الخادمة، لأن خالي اعتدى عليها، ولم أنس أبداً الثقة التي وضعتها أمي في وهي تقول: ارم نوال في النار ترجع سليمة، وقلت عن ابنتي نفس الكلمة، ووضعت في منى وعاطف كل الثقة التي زرعتها أمي في داخلي.

؟ ....

- كنت أستدير أحيانا وأنا مصلوبة في الترام أو القطار وأصفع واحداً على وجهه، لأنه حاول أن يلتصق بي أكثر من اللازم. لا أعرف من أين واتتني هذه الشجاعة وأنا طفلة عمرها ١٣ سنة، لكنه غضب الطفولة أقوى وأصدق وأنقى غضب كيف عاشت هذه الطفلة في أعماقي حتى اليوم؟.. لا أعرف.

؟ ....

- لست ساقطة ولا طاهرة، المرأة في نظر الرجل عذراء، طاهرة زوجة مطيعة خائفة أو ساقطة ولا وسط بين الاثنين، أنا إنسان، والمرأة الإنسان أرفع شأناً من الزوجة المطيعة أو العذراء أو الأم أو الساقطة، ولكنه النظام الأبوي الطبقي الذي يضعنا في أي من الطريقين.

؟ ....

- ما زال الأدباء ينظرون للمرأة على أنها زوجة مخلصة أو عشيقة فاتنة، مغرمون بالمرأة المتحررة حتى القدمين، المرأة تطلب عقولهم، وهم يطلبون شيئاً آخر، ويصفون النساء اللاتي استطعن أن يرفضن أنفسهم بالجنس الثالث!!.

؟ ....

–عليها أن تسعى للوصول للسلطة حتى تشارك في صنع القرار السياسي.

.... ؟

– الحركة النسائية ليست عدوة للدين، ولكن عدوة للسياسة.

.... ؟

– لست شيوعية ولا يمكن تصنيفي سياسياً وإلا لوجدت حزب أنتمي إليه أنا نوال السعداوي .

أنا شهرزاد في عصر الذين ولدوا ليقتلوا.. ويخونوا!!

شهادة

"كبرت يا شهر زاد .. واحدة في سنك يجب أن تعرف إن السن له أحكام. المرأة في العشرين تفاحة طازجة وفي الثلاثين خوخة ناضجة، وفي الأربعين مشمشة تتحول إلى حبة قراصيا في الستين! هذه هي النظرة الشهريارية والفلسفية الغذائية للعلاقة العاطفية في قاموس شهريار زمان ودون جوان العصر والأوان. ماذا تقول له؟ هل تذكره إنه فقد الذاكرة، فقد أحبها في عهد التفاح وغدر بها أيام الخوخ ثم قال لها "في المشمش" ونسي طعم الفاكهة وأصبح صاحب شهية مفتوحة لكل أصناف الليمون الماسخ والباذنجان الأسود! وشهريار الزمان ودون جوان العصر والأوان يريد أن يأخذ زمنه وزمن غيره، وهذا الصنف منهم يعتقد أن المرأة تكبر في السن وحدها.. عجلة الزمن تدور بسرعة ٣٦٥ يوما في السنة عندها، وهو عنده السنة بيوم!".

هالة سرحان

"كنت" أدرك بأن شهرزاد الأسطورة موجودة، بذكائها، وجمالها، وضعفها.. أنثي بها كل المتناقضات!! وحينما قابلت د. هالة سرحان(*) رئيس تحرير مجلة (سيداتي وسادتي) لأسألها عن عمودها الشهير (وقالت شهرزاد) وجدتها قد تقمصت الدور، سكنتها الليالي الألف الزائدة ليلة، سرى في الوريد والشريان عبق شهرزاد وصوت الديك وقسوة شهريار!! إنها تعتبر كل رجل (شهريار) وتضع في مؤخرة اسمه عبارة (يار) حتى أنها سمتني (أشرف يار) وهي تهديني أحد كتبها!!

قالت د. هالة سرحان: الفنانة شويكار قالت لي: حينما أقرأ ما تكتبين أشعر بأن عمرك ١٨٠ سنة.. وأنا قلت لها بالطبع، لأن ما أكتبه بعمر الجرح الأنثوي القديم المسمى بالقهر، فانا عمري ١١٨٠ سنة!!

فسألتها:

● هل أنت – بهذه الأرستقراطية والفخفخة – امرأة مقهورة؟!

–طبعا، فالعبرة في القهر بالإحساس بالمساواة الإنسانية.. لا بالمساواة المادية!!

(*)هالة سرحان .

- خريجة أكاديمية الفنون (قسم المسرح) .
- حصلت على منحة لدراس المسرح في أمريكا .
- حولت (وقالت شهرزاد) لكاتبين : المداد مرفوعة مؤقتا من الخدمة – أحبك في المشمش .
- متعددة المواهب فعملت في الإذاعة والصحافة ولها برنامج ناجح تليفزيوني بعنوان (يا هلا)
- رئيس تحرير مجلة: سيداتي وسادتي .

● لماذا تظلمين شهريار العصر؟ لماذا تؤاخذينه بخطأ جده الأسطوري شهريار القديم؟ لماذا تقولين أحبك في المشمش؟

– شهريار العصر نتاج لزمن أصبح الاستهلاك فيه سلوك البشر، إن شهريار الآن يهمه المليون الثالث أكثر من ابنه الثالث وهو يريد أن يكون مليونيراً ولكنه لا يريد أن يكون أباً وزوجاً بنفس الإخلاص!! إن المرأة في هذا العصر تبكي على ليالي (سي السيد) الذي كان رغم "لعبه بذيله" يتحمل مسئوليته كزوج وأب في الإنفاق وتربية الاولاد وقيادة المنزل.. راجع معي ثلاثية "نجيب محفوظ" إن (سي السيد) حتى حينما كان يخون زوجته، كان يفعل ذلك بسرية ويدرك بأن زوجته شيء آخر، أفضل وأطهر. أما الآن فشهريار العصر يفعل كل العهر جهاراً نهاراً .. ويدوس بنزواته البيت والأولاد وبالطبع المرأة قبلهما!! .. يا سيدي أعطني حق الحزن.. أريد عضوية فخرية في معهد البكاء الدولي للنساء؛ فأنا مؤمنة أن أي (جنتل– يار) يخفي وراء ظهره مسرور السياف!!

● ألهذا عنفت الرومانسية واعتبرتها داء ضارا بالصحة.. وطالبت شهرزاد ألا تقع في المحذور وتتمرغ في ترابها وأسميتها (الرومانسية الشهر– يارية)؟!

– الرومانسية ضارة جداً بالصحة، وهذا ليس رأيي، وإنما هو رأي موثق في كتاب اسمه (تحذير من الرومانسية) لعالمة نفسية اسمها (جلوريا ستاينم) كانت من المتحيزات للمرأة ولكنها انقلبت عليها ١٨٠درجة هذه

الأيام!! فأنا ضد الرومانسية.. بمعنى الذوبان في المحبوب، والضياع في العاشق، والوله الشديد الذي ينسي الإنسان ذاته فيجعله يضحي بغباء وسذاجة بذاته وكرامته واحترامه ومصالحه عشان عيون حبيبه، فهذا ضار بالصحة النفسية: أن تهين نفسك وتجعلها في الحضيض لأجل الآخرين.. أنا ضد الرومانسية "ضحيت هنايا فداك، وهاعيش على ذكراك"، ولكني مع الرومانسية الكلثومية الواعية التي شعارها "حب إيه.. انت عارف معنى الحب إيه".. نعم يجب أن نتفق على معنى آخر للرومانسية، غير الذوبان والضياع والنسيان في الغير.

● لك موضوع عنوانه "من أين أتيت بكل هذه القسوة يا شهريار؟!" فالقسوة الشيفرة السرية لإنسان التسعينات في رأيك، وبخاصة أن إجابتك السابقة تحمل المرارة للرجل. فما رأيك في قسوة المرأة، وبخاصة أن هناك إحصائية تقول أنه في الخمس سنوات الأخيرة – وفي مصر فقط – قتلت المرأة "١٠٠ زوجا" أقصد شهريار!!

وسكت عن الكلام الشهرياري، ولكنها أجابت بضحكة طويلة (بس والنبي ما قالوش قتلته بإيه؟!!) وقالت:

● بادئاً ذي بدء، المساواة بين الرجل والمرأة غير موجودة.. أنا لا أبحث عن المساواة المادية.. العمل والأجر.. لا، المساواة الإنسانية: من الذي يسحق الآخر ويطحنه إنسانيا.. نحن في مجتمع ذكوري، شهرياري بطريقي، كلها معاني واحدة.. ففي المنزل، للأخ كلمة على أخته حتى ولو

كان صغيرا، السيطرة طابع رجولي، وأنا لا أقف مع المرأة ولكن أقف مع الإنسانية.. وبالصدفة تشعر بأني ضد الرجل. أما قسوة المرأة؟! فنحن يا سيدي في عصر الذين ولدوا ليقتلوا ويخونوا!! لقد رأيت في منزلي مناظر بشعة (بالساتالايت) لما يحدث في الشيشان والبوسنة والهرسك ولا حد سامع!! لقد ودعنا الفتوة.. وكرسي في الكلوب.. إلى قسوة الغازات السامة والتشويه والاغتصاب؛ فهذا زمن العنف وزمن القسوة، وقبل ذلك قلت بأنه ثمن الاستهلاك، وحينما تخلط كل هذا ستخرج بمعادلة مخيفة ومرعبة.

● متى تشعرين بأنك ضد المرأة؟!

–قلبي يوجع حينما أجد الرخص سمة من سمات المرأة، المرأة الرخيصة التي تهين وتهان من كل شيء من أجل ما هو مادي!! حينما أجد امرأة مستهلكة أو مستهلكة أقف ضدها!!

قررت – مع تدفق أفكارها وعباراتها – أن ألجأ إلى طريقة إحسان عبد القدوس الشهيرة: وضع النقط (....) في الأماكن الحرجة، فقد اعتبرت كل أسئلتي يمكن أن تحل مكانها هذه النقط، لتحكي شهرزاد وحدها.. وأنا أسمع حتى يصيح الديك!! قالت شهر زاد، أقصد هالة سرحان:

–"أتمنى أن أكون وجدت لغة جميلة في مخاطبة القارئ تشبه لغة شهرزاد.. وقد يعترض البعض على استخدام اللغة العامية الجميلة

والفصحى في زجاجة واحدة خصوصا وإن هناك كلمات دخلت حياتنا وأصبحت جزءاً من حضارتنا لم نلتفت لها فمثلاً لما أقول "المدام مرفوعة مؤقتا من الخدمة" فهي استعارة أدبية تعكس سلوك الرجل الآن وعلاقته بالمرأة حينما يرفع زوجته مؤقتاً من الخدمة بمغامرة عاطفية، ويعاود رفع المدام من الخدمة بخيانات متقطعة، أو يرفعها نهائياً من الخدمة وفصلها بالطلاق، ومع انتشار الخادمات السيريلانكيات في البيئة العربية أعتبر أن ذلك حالة من حالات الاستيراد لزوجة تطبخ وتغسل وأشياء أخرى، بلا عقود، ولا شرع، ولا وجع دماغ؟ فأنا أقول: أنها زوجة سيريلانكية تكوي القميص والمشاعر.. تذيل بقع الملابس والشيخوخة، وهكذا فأنا أحاول أن تكون لي لغة مثل لغة شهرزاد "بلغني أيها الملك السعيد ذو الرأي الرشيد" أو عبارتها الأخيرة الحلوة: "مولاي" أن أقول له "يار"..."

"إن تاريخ كتابة السيرة الذاتية لشهر زاد العصرية الذي أكتبه تعود لـ ١٥ سنة وكانت البداية في لندن، ورغم ذلك فهي امرأة شرقية متعطرة بالعطر الباريسي والأخلاق.. نعم خلعت البرقع وارتدت الجينز ولكنها لم تخلع الحياء والتواضع. بالطبع هناك لقاء بين العام والخاص أحياناً أكون أنا شهرزاد.. وشهرزاد أنا واعترف بأن شهرزاد مرت في حياتها بمراحل استسلام كثيرة، حتى حصلت على الاستقلال.

"معنى "الموتيفة" المصاحبة لعمودي (وقالت شهرزاد) وهو لامرأة جميلة تنظر بعين واحدة لتعرف وكأنها تنشن انها تقول: "تلصصي على

زوجك.. تعيشي!!" فهو نوع من التمرد الماكر، الهادئ فهي تعبر عن أن شهرزاد تخفي جزءاً من داخلها، فشهرزاد فعلاً غامضة.

نعم تغيرت شهرزاد معي.. من التأمل في المجتمع إلى الرغبة في تغييره نتيجة لدخولي ودخول شهرزاد معي في تجارب الحياة المؤلمة.. وانعكس ذلك في الكتابة، وعشان كده قال لي عبد الله الجعفري: إيه حكايتك.. كلامك بقى بينقط عند؟! يقصد العناد".

وصاح الديك كوكو .. كوكو .. وسكتت عن الكلام المباح ..

وصلة طرب للسيرة الذاتية لامرأة..

شهادة

دائما تحن حواء إلى قضمة من التفاحة، وعندما تغيب الجنة تولد الإنسانية، في الجنة لم يمس آدم حواء. كانت معه رفيقة خيال وحلم لا تبدو له ولا يبدو لها. آدم قانع وحواء لم تقنع. أو أنه لم يجرؤ وجرأت هي. أحبها ولكنها زادت عليه بأن رغبته. وفي الجنة لم يعرف آدم نفسه ولم يكن ملكاً ولا إبليساً ، ولم تكن خطيئة حواء ذنبها ولكنها عرفت من احتجاج إبليس أنها وآدم غريبين لم يخلقا للعصمة ولكن للخطأ، وعرفت حواء أن الله خلقها من ضلع آدم أنثى، وخلق آدم من خطيئتها رجلاً ، وأنعم الله عليهما بعقابه أن يهبطا الأرض.

صافي ناز كاظم

صافي ناز كاظم: امرأة من برج الأسد "يسكنها الشجن كهمسة ناي.. تحتمي بالعناد وقوة البراءة.. في صوتها رنين صهللة شلل الأحبة.. وتعرف كيف تغيره من البلبلية إلى البلالية، وبالعكس! شهرتها أنها تعشق المسرح كعشق ولد الولد"

قابلتها بمنزلها في العلالي.. الدور الـ ١٢ بالعباسية، الحي الذي أحبته ولم تغادره منذ ١٩٤٥ إلا للسفر، غيرت شقتها ثلاث مرات ولم تجرؤ على تغيير العباسية!

فتحت لي (نوارة) الباب كنسمة صيف ندية، فبدت لي راضية كامتداد فرع شجرة خضراء في دنيا الله بحجابها المزركش الألوان ونظراتها الحيية قلت لها: قصصك التي تنشرينها جميلة.. ردت في امتنان واضح: الله يخليك.

جاء صوت صافي ناز كاظم من الداخل في حالة بلالية يعلن عن مقدم فهده مثارة، جاهزة لتصب وعاء من الغضب تحمله دوماً فوق رأسها على أحد، نزلت على مياه غضب ساخن كان المقصود بها "الناصرية والناصريون المعاصرون"، كالعادة قالت صافي ناز للحلو يا حلو في عيونه!!؟ ثم بدأت نبراتها تهدأ لتنزع عني غربتي وتجلب لي ألفتي.. وعادت لصوتها نبراته البلبلية ليصبح كقفشة أنس في آخر الليل، وبدأت قفشاتها القاسية التي تصدمك، وتحدث لك نزيفا داخليا، وتصبح معها صافي ناز في (مود) حزين تجد معها لصدقها عيونها ندية بالدموع فمثلا تقول بسخرية: "أنيس منصور بيعيط في كل كتاب يكتبه، على ٦ شهور منع فيها من الكتابة، أوقفوه عن العمل، ومفيد فوزي عامل مندبة لأنه لم يكتب لمدة سنة، أنا أعمل إيه أصوت بالحياني لأنهم منعوني من الكتابة ١٢ سنة؟!"

وقفشة أخرى: "سجنوني بتهمة إني (شيوعية) مرة، وبتهمة إني (شيعية) مرة، وأنا خائفة لتكون التهمة الثالثة برضوا بحرف الـ (ش) شرموطة يعني.. ودي عايزة بوليس الآداب؟!!"

وتأخر الضغط على جهاز التسجيل، وأطلت مدة السماع لها (مونولوج الحالة الشعورية لها وقت اللقاء) ولكنها قالت: "نعتبر ده تسخين يالا يا سيدي.. قول الكلمة عالي بالصوت البلالي، كامش ليه وخايف، ما تفرج الشفايف" ولأن ما قالته كان أبيات تغنى بها (الشيخ إمام) وبالصدفة كنت أحفظها فقد ضغط على مؤشر (Record) بجهاز التسجيل وأكملت الأبيات رداً عليها: "هو العمر واحد ولا العمر مية". وجلجلت ضحكة صافي ناز كاظم وقررت أن أبدأ معها من تاريخ هذه الجلجلة في (أخبار اليوم) ومجلة (الجيل).. بدأت أعيد معها ذاكرة "الرومانتيكيات"

● كتابك الأول (رومانتيكيات) الغلاف فيه صورة لك وقد خلعت حذاءك.. ووضعته جانباً مقلوبا في وجه القارئ؟! الغلاف غريب ولا يتماشى مع العنوان، فسر ذلك "أحمد بهاء الدين" بأنك تريحي قدميك من السفر؟! أنا غير مقتنع بالتفسير؟!

–أنا لم أخلع الجذاء أبدا، وهذه الصورة متفق عليها كتصميم للغلاف بيني وبين حلمي التوني وصبري المصور وهو غلاف يسخر من الرومانسية القديمة ويبشر بما كتبت عنه وقتها وهو (نيورومانتيسزم) فالرومانسية الجديدة يمكن أن تكون في كعب الحذاء وكتبت عند النعل

عبارة (رومانتيكيات) لأقول أنا مشواري رومانسي ولكنه رومانسية أسفلت الشارع، وكنت قد تعرفت على هذه الرومانسية أثناء رحلة دراسة لي في أمريكا ١٩٦٠ فقد أهداني صديق وردتين حمراء وبيضاء، وكان هذا غريبا، فالأصدقاء يهدون وردة واحدة وحينما سألته كانت إجابته أغرب ولكنه أرجعها للرومانسية الجديدة قال: (لأنه يدفع دولارا ثمن وردة واحدة، ويدفع دولارا ثمن وردتين)!!

● الحب ابن الرومانسية.. فما حال الحب معك؟ هل الرومانسية الجديدة جعلته غير ضروري كما قلت في قصة "شيء ضروري" فقط قالت البطلة "أنا دائماً أعتقد أن الحب ليس ضرورياً وأنه معطل يشغل به الفارغون وقتهم" وكررت المعنى على لسان الكاتبة "رصف الشوارع أهم وأبقى" في مقال "فصيفصاء ظافرة" في كتابك "تلابيب الكتابة"

– ولكن بطلتي قالت في القصة "وانه لو فرض ونقر الحب بابي فلن أفتح له إلا إذا ألحت دقاته وأزعجتني"، والقصة لا ترفض الحب الرومانسي ولكنها ترفض أن يكون الحب (جنس) فإذا كان الحبيب يريد (الجنس) يصبح الحب غير ضروري. أما الحب عندي أو عند الكاتبة فهو حب عذري أو أفلاطوني، أو حب لا يتكلم بصوت وشفتين فأنا لم أحلم بفارس على حصان – ولكني مررت بلحظات حب حقيقي – فأنا بطلة عدة قصص حب ولكنه حب صامت. لأن في الرومانسية الجديدة "في الحب مشاعر الغضب والفراق والقلق والحرمان كلها حلوة" فأنا لا أقول لأحد: أحبك، لأني ضد المطاردة والتوريط؛ فالمثل الفارسي يقول (شيئان

لا يخفيان: الرائحة والحب) فالمرأة التي تحب لا بد وأن يلاحظ ذلك الرجل الذي تحبه، فإذا لاحظ وتجاهل فلا يجب أن تقول، لأن ذلك (ابتزاز)، يعني إيه عاوزة تتقل كتافه.. (باحبك.. باحبك.. يا سم) الآن انظر للأمر من منظور متبادل.. يعني لو واحد طلع في دماغه يحبني.. خلاص عمل اللي عليه وأنا ملزمة بحبه بقى أنا لا أحب أن يورطني أحد.. أو أورط أحدا في العواطف، وزمان "طارق فوده" كتب شعر في واحدة قال لها بحبك فقالت له روح بعيد. فيقول لها: لست سوداء الثياب.. أنت سوداء القلب. وأنا قلت له ده مش شعر دي سماجة!!.. وفي أمريكا حدث لي نفس الشيء وفي عز الشباب صديق عزيز حاول أن يحول الصداقة إلى حب بل وطلب الزواج وأنا كنت في أمس الحاجة لمن يشيل عني عبء الحياة المادي هناك وبخاصة أني كنت أعمل وأدرس في ظروف صعبة "حالة من التشرد والقيمة" ورغم ذلك قلت له: "لا.. ما ينفعش" فالحب عندي معناه: أنا لا أملك ولكن أتمتع، الناس متصورة أن علاقة الرجل بالمرأة في أي مستوى علاقة جنسية، وأنا لا أرى ذلك إلا بالزواج الشرعي، ولأنه يصعب الزواج من كل من نحبهم فعلينا أن نرى الجوانب الأخرى الجميلة في الحب وأن نجعله ابن الرومانسية كما قلت مش بلعن أبو خاش الرومانسية، يا سيدي الحب لا يحتاج للتفعيص باليدين.

(ولعلمك أنا لا أحب الرجل المقترب من حدودي دون أن أعطيه أمارات المرور بالضوء الأخضر ولو حاول يزهقني يبقى عامل زي الحلاوة الطحينية.. يفرش زيت.. ويركز على القلب.. ويقرف)

أعجبتني عفوية العبارة فوضعتها بين قوسين، وأصبحت أستخدمها مع بعض البشر، فهناك نوع من البشر (يفرش زيت ويركز على القلب).. حاولت أن أستثمر حالة البلابل في صوت صافي ناز كاظم، وأخذت رشفة من الشاي المضبوط الذي قدمته لي وقلت لها:

● لو وضعت أول كتاب (رومانتيكيات) مع آخر كتاب (تلابيب الكتابة) أعتقد أني أستطيع قراءة سيرة ذاتية لك من شارع الرصافة في محرم بك إلى شوارع العباسية؟!

– الإجابة بنعم تكون ناقصة فأنا كل ما كتبته، كل ما كتبت سيرة ذاتية، كتابي عن (الخديعة الناصرية)، كتابي عن (السفور والحجاب) ما كتبته عن المسرح.. كله أنا، حتى قصصي القصيرة عشتها ورأيتها هل قرأت قصة (مونولوج فتاة مهزومة) إن أبطالها – أنا وسناء البيسي وزينب صادق – هل قرأت قصة (حاجة) إنها قصة خلع الدبلة بيني وبين الفنان الموهوب "عمر النجدي" أعجبتني الـ Farm وأنا أفكر هل يمكن أن نكمل معاً فنفذتها وبعدها كتبت "القصة والوداع" قصة (لولا أن الرجل موجود) كتبتها من مكاتب أخبار اليوم ٥٦ ولم أنشرها ولم أمزقها وحينما رأتها سناء البيسي وتذكرنا أصحابها نشرتها هذا العام في مجلتها نصف الدنيا، أنا مؤمنة بعبارة الشاعر ممدوح عدوان: "الكاتب لا أسرار له، لأنه بالأصل يكتب أسراره".

● هذا مشجع لسؤال شخصي: لماذا تزوجتِ البوهيمي الفاجومي "أحمد فؤاد نجم[1]"؟!

–هناك عدة أشياء متداخلة، فأنا عندي كل الأبجديات لأكون شاعرة والغريب ألا أكون! وأحب الفقراء والبسطاء وأقترب منهم وأكتب بمنطقهم. وأنا دارسة للنقد المسرحي وأضعت فيه ٦سنوات غربة ودخلت عالم نجم من شعره الذي أرضى عندي كل هذه الأشياء.. هو شاعر بالشعر البسيط ذي البعد المسرحي وهو لسان البسطاء والفقراء فتزوجته كرمز بداخلي وليس كاحتياج أنثوي لرجل. هل تصدق أني تزوجت نجم لأني أحب مصر؟! لقد أردت أن أحافظ عليه كقيمة، فهو ضائع، تركيبة غريبة من البشر تشبه الجمل الذي خلقه الله بصنم ليصبح هو الحيوان الوحيد القادر على الصحراء، نجم كان الشاعر والذي أعده الله لمرحلة الخلل في الفترة الناصرية. صوت يقول أشياء بطريقة مختلفة وقاطعة. حينما قال تتزوجيني يا صافي؟! شعرت بأنه يقول: احميني مما أنا فيه، فهو يشرب، ويعرف الحشيش ويجلس في أي غرز، وتزوجته لأحافظ عليه كنت ممرضة

---

[1] أحمد فؤاد نجم شاعر صنع كيانا فنيا لرؤية شعبية في سنوات ١٩٦٧ – ١٩٧١ مع الشيخ إمام وبدأ ذلك بقصيدة بعد النكسة (الحمد لله ضبطنا تحت باطنا) وكلفته قراراً بالاعتقال عام ١٩٦٨ مدى الحياة وبعدها جاءت قصائده (بقرة حاحا) و(يعيش أهل بلدي) و(شرفت يا نكسون باب)، (ممنوع من السفر)، وهو الآن يكتب الأغاني وله مسرحية كتب أشعارها هي "الملك هو الملك" وغناها "محمد منير"، ونشرت حياته في جزءين بعنوان الفاجومي (نشرت مسلسلة في مجلة روز اليوسف).

نجم التي تزوجت شعره. كان شعره ضد ظلم الناصرية هو مهري ورضيت بذلك.

قلت لها: ولكنه.. ولم أكمل، وكأنها تعرف باقي السؤال، وتتوقعه وسمعته ألف مرة. قالت:

– نعم تزوج علي، فطبعه ضد ما أردته له، عنده السكر يبقى لازم غذاء مناسب.. شاعر يبقى لازم يعطي شعره وقته، ولكن الطبع غلاب تزوج "بلبع" ولكن زوجته الأخيرة الثالثة صديقة لي وأنا أتدخل بينهما فمازلت أحاول أن أحافظ عليه من بعيد بطريقة (الريموت كنترول) فهو أبو نوارة..

● كتبت تقولين: أنا مولعة بكتابة الخطابات، أستريح فيها وأكتبها بسهولة وحلاوة عندما لا أستطيع أن أتبين ملامح من أكتب، أفضلها على مذكراتي وعلى تدوين الملاحظات، لذلك فخطاباتي دائماً تقول كل ما أود وليس فقط كل ما أريد.. أين خطابات صافي ناز كاظم؟!

– أنا أتحايل على الكتابة بالرسائل وبيني مراسلات مع الأستاذ/ أحمد بهاء الدين، وآخرها محاولة توهم أني أكتب له لأفش غلي فيما يكتبه (حسين أحمد أمين) نشرتها في الهلال بعد وفاة "بهاء"، وقد بدأت (الرسائل الأدبية) في أمريكا مراسلة لمدة ٢٥ شهراً مع أحد الشعراء الكبار، وهذه الرسائل نشرتها في كتاب (رومانتيكيات) والغريب أن هذا الشاعر ادعى أنه أحرق رسائلي حينما طلبتها منه وقال ذلك بشيء متخلف ورجعي النظرة

للمرأة قال لي: عرفت إنك تزوجت فأحرقتها.. ولهذا نشرت صور ما وجدته عندي، لأني لا أخاف مما أكتب ولأنها مجرد رسائل أدبية بين أصدقاء، وليست غراميات، وهناك تجربة (مراسلة أخرى) رسائل بيني وبين الشاعر السوري (ممدوح عدوان[٢]) كانت رسائل بشحنة الصداقة أو المحبة أو الإيحاء بالحب وقد طلبتها من ممدوح عن طريق الدكتور رفيق الصبان قلت له اعطيه رسائله وخد منه رسائلي، وبالفعل تم التبادل، وكان ممدوح

---

[٢]ممدوح عدوان شاعر سوري له قصائد لها طابع سياسي وهو حاد السخرية وابن نكتة وسريع البديهة وآخر دواوينه الشعرية (هذا أنا أيضاً) وهو يعتبر الديوان رقم ١٢ له .

من رسائل صافي ناز كاظم لممدوح عدوان " المنشورة " : (الرسالة) قطار قادم من القاهرة قد يكون مفاجئاً لك لو علمت أنني عندما ألقيت بخطابي السابق إليك ركبت القطار إلى الاسكندرية ونظرات من النافذة متصورة إنني أودعك على رصيف لا أقف عنده ثانية أبداً .عندما نزلت من القطار وسرت في طرقات المدينة كنت أتصرف فعلا باعتبار أن هذا التصور قد تحقق . شيء مثل الذي يتمنى الخلاص من الحياة ولا يبلغ تحقيق ذلك إلا بالتصور .لماذا يحدث أن يتمنى الإنسان أحياناً التخلص من الحياة ؟سؤال يبدو كمصيدة فلسفية ، ولكن لدي له إجابة مبسطة : عندما تبلغ قمة التعلق بالحياة : قمة التصور المثالي لما يجب أن تكون ثم يكون أول احتكاك مخيب ، ينبعث فورا خاطر ترك الحياة .إنني لست بصدد أن أقول ماذا خيبني فيك ، فلعل أنا الذي خيبت في نفسي او لعلع الطقس الخماسيني الذي هزنا سوياً . هل هزمنا ؟هل تعتقد أن اخضرارنا لم يكن – أو ليس – في قوة الصمود للضرب الترابي الجاف ؟لماذا لم أعد أجد فيك ما يشجعني ؟ هل انكفأت ؟ لم أعد أرى زهراتك الصفراء المرحة التي كانت تشيع في الائتناس والرقة : أنت متجهم وأنا مكتئبة : فتصمت الأغنيات ، وليصفق الدود ، ولتدس الأفيال الورق الأخضر .قلت لك أكثر من ذلك طويلاً للبحر .(وكان البحر مزمجراً لا يكف عن حركة القدوم والرواح والقدوم ..) كانت الشجرة تقول :" أهم شأن في الحياة أن نثبت وجودنا اليانع ! "تذكرت أنني قلت لك مرة – وكلانا تواق أن يستعين بالآخر لبعث أجمل ما فيه – إنني أريد أن أجعل منا شيئاً : دائم الاخضرار .لنبق إذن على جذورنا ، ولو بدت وجوهنا مقمعة كالجذع الناتئ : قصيراً أجرد .سوف ننمو ثانية .. تفاؤل ؟ نعم .. وألم يحز القلب .

عدوان عند حسن الظن (ولأني عايزة رسائلي لأنشرها لا لأحرقها أو أخفيها) فقد نشرتها مرتين مرة في الهلال بعنوان: "فانتازيا الإيحاء بالحب"، ومرة في كتاب "تلابيب الكتابة" بعنوان:"فانتازيا رسائل قديمة" أدخلت فيها بعض المونتاج والزيادة، وأتذكر وقتها أن الشاعر ممدوح عدوان كان يصغرني بـ ٥ سنوات وهو ممتلئ بالمرح والثقافة وكانت خطاباتنا على موجة من السخرية والذم على الأشياء عالية الصوت والنبرة .

● ما الفرق بينك وبين غادة السمان في نشر هذه الخطابات؟!

–رسائلي خطابات أدبية بين أبناء مهنة واحدة، ليس فيها إلا الصداقة، ولكن غادة السمان كان بينها وبين غسان كنفاني قصة حب حقيقية معروفة وهو رجل متزوج وله أولاد وكانت خطاباتهما رسائل غرامية فإذا نشرتها فلماذا؟! ثم إنها لم تفعل مثلي وتنشر رسائلها، ولكنها نشرت رسائله هو؛ فحولت غسان وهو مناضل فلسطيني كبير من رمز إلى رجل، ورجل حقير، رخيص، خائن. وكان ذلك في وقت تقوم به زوجته في تحويله من رجل إلى رمز في مؤسسة باسمه تجعل مردودها لصالح أطفال فلسطين. وبعد الكتاب أصبحت الزوجة غير قادرة على أن تستكمل مشوارها.

● هناك من يقول أنك ترتدين الحجاب على البنطلون الجينز؟! — ويا ليتني ما قلت وحاولت أن اخفف عبارتي – يعني أصبحت أكثر تشدد في الدين؟!

ومع نظراتها الثابتة لعيون لا ترمش كنت أغير في صيغة السؤال، فلا أنا أحب أن أتهمها بشيء ولا أقصد، ولا أحب أن أنقل نبراتها من الحالة البلبلية، وأخيراً قلت لها: "يعني أصبح توجه ديني فيما تكتبين؟"

–أنت بتلخبط – وتحملت ولم أرد أحب أن أسمع ما بعد ذلك – أنا طول عمري مسلمة وملتزمة، حتى إني كنت أنزعج وأندهش إذا سمعت أن فلاناً يشرب بيرة وقد وصفني أحمد بهاء الدين بأن مظهري الصاخب المغوار يخفي في باطنه نواة من الجد الصعب والصرامة القاطعة، وحتى حينما ارتديت البنطلون في رحلة أوتوستوب لأوروبا سنة **١٩٥٩** كان الإسلام هو الرداء الحقيقي الذي ارتديته بالطبع التزامي كان بدرجات متفاوتة أصبحت مع كل مرة أكثر رؤية وهذا عمني بالأمان ودعمني وحررني أكثر وخرجت من حالة (المسلمات المرتبكات) (اللي بيصلوا ويلبسوا ملابس قصيرة أو يزموا في الحجاب ويستعدوا للعمرة، تركيبة عايزة هزة) أما الأدب فلا يمكن تسميته في ذاته ولكن الكتابة تكون من خلال أيديولوجية.. هذه الأيديولوجية تجري في دمك ولا تستطيع التخلص منها فهي تجري في دمك بحكم تكوينك وميلادك وعقيدتك وبالتالي ومن هذا المنطق هناك أدب توجه إسلامي وأدب له توجه مسيحي أو يهودي.. إذن للأدب هوية تستمد من الأيديولوجية ولا تستمد من مواضيع بعينها.. وهي بالطبع مسألة غير مقصودة فكل كاتب وعاء لهذا الفكر الذي عرفه وسرى في وريده وشريانه وآمن به.

● أريد أن اعرف ذكرياتك ببنطلون "الجينز" والرحلة الغريبة العجيبة الـ Auto Stop !!

- السفر من ضمن القيم التي يقدرها طه حسين فهو يقول "الأمي هو الذي لم يسافر" وده كان ١٩٥٩ فأخذت "هيتش- باك" وسافرت أنا وأختي وسافرت بموافقة أخبار اليوم وكان معنا ٢٠ جنيها لنلف أوروبا و(مصطفي أمين قال لنا انتم حتنجحوا ومكاتب أخبار اليوم في كل مكان تحت أمركم) وكان موسى صبري خايف علينا وركبنا عربة أخبار اليوم مع الدشت حتى بورسعيد ومن هناك اخذنا مركب (أجممنون) (أون- ديك) على ظهر المركب بدون أكل ونزلنا بيروت وحاولنا نطوف لبنان لكن (سعيد فريحة) هاجمنا وقال لنا: ده هلس؟. واتفقنا معه أن نعمل في (الصياد) ومن هذه (الفلوس) نسافر، فقال: ما بيخالف.. وهناك قابلت: ميخائيل نعيمة، وفيروز وبعدين رحنا اليونان، وجدنا أن مفهوم الأوتوستوب حتى في اليونان قلة أدب. وقابلنا صحفية يونانية قالت لنا: الأوتوستوب شكل من أشكال التسول. أما إيطاليا فهي بداية المعرفة الحقيقية لمعنى الأوتوستوب الناس مؤدبين وكرماء وكانت في مساعدة منهم وركبت شاحنة كبيرة حتى بلد اسمها (أنكونا) ثم عديت جبال الألب حتى سويسرا، وذهبنا لألمانيا وقابلت أخي هناك وطبعاً كلت كويس واعتنينا بأنفسنا ثم وصلنا إلى باريس وأحببت أن أتفرج على كل أماكن "زهرة العمر" التي كتب عنها "توفيق الحكيم".. ومن مرسيليا ركبت مركب إلى الإسكندرية وبلا طعام!! وأذكر إنني أثناء وجودي في إيطاليا قابلت "ألبرتو مورافيا" ولاحظت أنه أعرج وكان منزله بسيطاً، ولم يكن منزله في مستوى الثراء الذي نراه اليوم

وبالطبع كنا نكتب كل شيء نراه ونرسله إلى مجلة (الجيل) ونشرنا صورة لنا معه وكان ورانا عربة هي "بار إيطالي" وكان عليها كميات كبيرة من زجاجات الخمر، وأول ما رجعنا سألونا عن الحكاية دي ولكننا لم نكن نعرف ذلك ولا شعرنا به ولا عرفنا معنى هذه العربة التي كانت في خلفية الصورة.

"السيدة صافي ناز كاظم(*) كاتبه من نوع خاص، هي متميزة لا تشتبه بسواها، متفردة في طريقة كتاباتها وصياغتها وقاموسها الذي ينتمي إليه

(*) صافي ناز كاظم كاتبة وناقدة مسرحية معروفة.

- من مواليد محرم بك بالإسكندرية في ١٩٣٧/٨/١٧ .
- من أوائل خريجي قسم الصحافة بكلية الآداب جامعة القاهرة.
- حاصلة على ماجستير النقد المسرحي من أمريكا عام ١٩٦٦ .
- صدر لها عدة كتب أدبية ومسرحية منها: (الخديعة الناصرية) (من ملف مسرح الستينات) (تلابيب الكتابة) (رومانتيكيات) وآخر أعمالها: المقاومة وإرهاب المكر الصهيوني.
- أحد خطابات صافي ناز كاظم التي أحرقها الشاعر الكبير (نشرتها لأنها لا تخاف ما تكتب) نيويورك أول يونيو ١٩٦٤ "قمت أصنع خبزاً بدون مناسبة لكي أهرب من الكتابة أكتب رسالة للجريدة ولا أريد. الجو حار والنافذة مفتوحة. تكييف الهواء صوته مزعج. هل يحدث لك أحياناً أن ترفض الرد على التليفون؟ اليوم حدث لي هذا. لم أخرج ورفضت رفع السماعة وعلقت على الحائط قطعة جديدة من شعر الحبيب ت. س. إليوت الذي تكرهه. خفت منها تقول:

أقول لنفسي ابقي بلا حراك/ وانتظري بلا أمل، فالأمل قد يكون تمنياً / للشيء الخطأ/ وانتظري بلا حب/ فالحب قد يكون حباً للشيء الخطأ، هناك بعد إيمان.

ولكن الإيمان والحب والأمل ،كلها في الانتظار/ انتظر.. بلا فكر/ لأنك غير معد للفكر. وهكذا سيكون الظلام هو النور/ واللاحراك هو الرقص؟

وحدها هي دائماً تبدأ بالذات وإليها تنتهي. وهذا بعض حق الكتابة التي لا تعتبر الكتابة "عملاً تؤجر عليه"، ولا تستطيع أن تلبي أمراً يصدر إليها بالكتابة، وتقول بوضوح: "ما أن يكلفني أحد بكتابة حتى يدب النعاس أوصالي، وأدفن رأسي في وسادتي وأعلن وفاتي" ذلك أنها ترى فعل الكتابة هو تمام الحرية، وتمام الصدق "الكتابة جمال، والجمال صدق والصدق: حرية مطلقة، نافذة على مصراعيها مفتوحة"، وحين تفتقد هذه الحرية، وتقع بين المغلق ونصف المفتوح، تعرف أني أكره الكتابة. ويعمد الكاتب إلى الهروب منها.."ذلك عندما توصد في وجهه الأبواب وتغلق النوافذ وتسد الدروب بالمحاذير، تضحي الكتابة مونولوجا: حواراً مع الذات لا يعطي ميلاداً ، فكيف تلد من دون أن تتلاقح كلماتك مع ذوات الآخرين؟ ما فائدة أن أكتب إن كنت لن تقرأني؟

لا يعرف الشوق إلا من يكابده. وفي حياة السيدة صافي ناز كاظم خبرة قاسية، لكنها نموذجية لمن كان مثلها في سنوات السبعينات الكالحة وهي تحدثنا عن هذه الخبرة في تقديم كتابها السابق "من ملف مسرح الستينات ١٩٩٢": كانت تعمل تحت رئاسة أحمد بهاء الدين.. رحمه الله في مجلة "المصور" ثم نقل بها إلى مؤسسة الأهرام، وجاء بديلاً عنه آخر من يمكن أن يكون بديلاً ، تكمل صافي: "جاء "إيان سميث" أو "مكارثي"

خفت، لأن هذا ما أسمعه يطن بأذني.. ستكره غرفتي لو رأيتها. نصف جدرانها يشغلها كلام "إليوت" و"كامي" وصورة "بيكيت" وجه بيكين – وبالذات عيناه – أعده واحداً من أهم أعماله الرئيسية: أجد فيه ما عجز عن كتابته. أعلق لصلاح جاهين قصيدة يقول فيها: "الشمس ثلج أصفر.. شعاعها صاروخ هوا".

الثقافة المصرية: الأستاذ يوسف السباعي، "قبل أن يرتشف الأستاذ السباعي أول فنجان قهوة على مكتبه الجديد استدعاني، وقال لي وهو يرشق عينيه الزرقاء القاسية في منتصف جبيني: يكون في علمك إحنا مش عاوزين نشوف اسم صافي ناز كاظم ده منشور أبداً،وهكذا انحسر اسمي عن النشر في السبعينات، فمنذ ١٩٧١/٨/١ حتى ١٩٨٣/٣/٢٥ . تحقق قرار السباعي بحذافيره"

والتي عادت إلى النشر في ١٩٨٣ كانت صافي ناز كاظم مختلفة أتاحت لها تحولات الواقع – إلى جانب خبراتها الشخصية – أن تعيد النظر في كل ما كانت تؤمن به، استبعدت كل ما رأته غير ضروري وأبقت على أقل القليل الذي رأته جوهرياً في التجربة الإنسانية" [٣].

● ما هو تلخيص الإبريز في سيرتك كامرأة تكتب؟!

– يبقى تعليقي على هذا التلخيص فأنا كنت مسلمة منذ نشأتي أصوم وأصلي وأتجنب المحرمات واقرأ لألبير كامي، فرانسوا ساجان، جان بول سارتر، وسيمون د بوفوار، ومعظم المكتبة العربية وكنت ألقى تشجيعاً من رموز هذه المرحلة، وقمت في بداية عملي الصحفي برحلة إلى

(٣) هذه السطور التي بين قوسين قالها الأستاذ الناقد الكبير "فاروق عبد القادر" في نقد أعمال صافي ناز كاظم: "لصافي ناز كاظم تعبيرات خاصة عن بعض الأشخاص؛ فهي تقول عن يوسف السباعي: مكارثي الثقافة المصرية، وعن أنيس منصور: كاليجولاه، وعن أحمد بهاء الدين: الأستاذ، وعن قاسم أمين: تاجر شنطة شاطر بالثقافة الغربية، وعن الشيخ إمام: القوال أبو الحرير موال".

أوروبا على طريقة "الأوتوستوب" وكان القصد أن أطوف حول العالم بقروش زهيدة كما يفعل شباب العالم، وأن أحافظ على تقاليدي ونجحت التجربة بالفعل وكان بها الكثير من المشاق وتجنبت المحرمات وحينما أنقد ذاتي الآن أجد أن هذا كان تبديداً للجهود وأنني خرقت أصولاً إسلامية ابتداء بالزي الذب كنت أرتديه – الجينز – والتعرض لركوب سيارات غير مؤمنة وهي مخاطرة حمانا الله منها، ثم سافرت إلى أمريكا للدراسة – سنة ١٩٦٠ – وإعداد الماجستير في النقد المسرحي وقد أفادتني في أن أعتبر نفسي جزءًا من المجتمع العالمي "الغربي" ولكن هذا المجتمع لا يعتبرنا جزءاً منه، وكانوا يسألونني عن ثقافتي فأكتشف إنني أهملت جذوري وقراءة رصيدي من التراث الثقافي الشرقى وإنه لا بأس بالاطلاع على ثقافات الآخرين ولكن بعد التشبع بتراثنا حتى لا نصبح مقلدين وتابعين.. وابتدأت وأنا في أمريكا بقراءة كتاب" العدالة الاجتماعية في الإسلام" للأستاذ سيد قطب، واكتشفت أنه كان ينادي بالعدالة الاجتماعية. كنت أرضاً مسروقة من الإسلام ويجب أن تتحرر وترفع رايات الإسلام عليها، وكان ذلك باستحضار المظهر والزي الإسلامي كاملاً وإعلان أيديولوجيتي الفكرية كمسلمة.

● ما هي أيديولوجيتك الإسلامية.. كيف تطبقينها.. ما هي رؤيتك.. ما هو أقل القليل الذي رأيته جوهرياً في التجربة الإنسانية؟!

– رؤيتي أني لست ملاكاً بلا أخطاء ولكني إنسان يخطئ ويصيب في ظل توجه إسلامي.. فلا أكابر في الخطأ وإنما أعود وأستغفر وأطلب العون إلا أفعل ذلك.. وأجعل الإسلام نظاما شموليا تاما في حياتي، فإذا وجد نص عن زي يجب أن ترتديه المرأة وهو (الحجاب) في القرآن الكريم، لا أكابر بل

أمتثل فلا تساؤل أمام أمر قرآني ولكني أكابر وأناقش ولساني طويل في كل ما هو خارج الحكمة الإلهية، فأنا أصلي وأطلب من الله أن يرزقني الكتابة.. أنا لا أعتبر هذه الموهبة بعيدة عن العطاء الرباني، وحدث في حديث إذاعي لي بدولة عربية أن اندمجت ودندنت بالغناء "أحب الغناء والطرب" فقالت لي المذيعة: غناء المرأة حرام ولا حلال؟! أرادت أن تحرجني، فقلت لها: حرام، فقالت: ولكنك تغنين وتدندنين وحافظة وصوتك حلو، فقلت لها: إنه ذنب.. الله سيغفره لي. وأنا هنا أكرر أن هناك خلفاء في الدولة الإسلامية (شربوا الخمر ولكنه يعرف أنه إثم ويعتبرها ذنوب ويحاول ألا يفعلها).. أما دولة الكفر فهي تغفل الموبقات باعتبارها مأثر قيم.حضارة تمجدها وتعتبرها وتفخر وتفجر بها، فهناك فرق بين شعر في الخمر لعمر الخيام وشوقي وشعر في الخمر لأبي النواس.. الأول برؤية مسلم مذنب ولذا عدل في نهاية أيامه، والثاني برؤية مسلم عاص تمسك بها وكابر وأمره عند الله.

● إذن لم يكن هناك انقلاب أو تحول ولم يحدث أن ارتديت الحجاب على الجينز (كما سمعت من البعض) الآن أفهم ذلك.. ولكنك انقلبت وتحولت مع الثورة وجعلت الغضب لا يصيب إلا عبد الناصر؟!

(قبل أن تجيب سألتني هل أنت ناصري؟! قلت لها: لا أنا لا أحب تصنيفي.. ولكني أحببت عبد الناصر صغيرا، وحبه لم يخرج من قلبي رغم قراءاتي المتعددة لكل أخطائه.. يمكن حبيت طلعته البهية، وعيونه الرجولية، وقدرته على استخدام عبارة (لا)، وإنه لم يكن بتاع نسوان رغم شرقيته، يمكن الحب أعمى، ولكن الذي يحب لا يكره!؟.. حبي له الآن وجداني لم أجلس يوماً لأناقش حبي بموضوعية مع أحد!!)

– هذا الحب هو الحماس الشعبي الذي تبنى الثورة وعبد الناصر ولم يقف يوماً ليراقب بدقة موقف هذه الحركة الجديدة ولكني اعتدلت وأفقت وجلست بموضوعية لأناقش حبي، وأنا أجلس يوماً لأناقش كل ما أحب بموضوعية.. كانت البداية حينما حولنا تأميم قناة السويس ١٩٥٦ إلى نصر على طريقة كليوباترا في يوم اكتيوما، فقد عرفت من كندي (أن مضايق ثيران أخذتها إسرائيل وأصبحت تسير فيها سفنها منذ ٥٦) وتوالت الخديعة الناصرية وبدء من ٦٥ بدأت كراهيتي له وانتهى أمره بالنسبة لي بعد إعدام (سيد قطب).. نعم خرجت يوم تنحيه، هذا الخروج للشعب المصري "صرخة تشبه صرخة أسرة فقدت ابنها الذي علقت عليه كل آمالها أعطته الأرض وتركته يدير وابور الطحين وسلمته البهائم فإذا به يقول باي باي. فخرجت تقول له "فين الورق والحجج وعلى فين مش لما نتحاسب" ولكن السلطة حولت هذا الخروج في اليوم التالي بتوجيه وتأثير.. حفرت بشطارة مجرى لصالحها فاستفادت منه.. (نعم عيطت يوم أن تنحى.. بكاءً على مصر وليس بكاءً على عبد الناصر) فقيس مر علي ديار ليلى ولكن ما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديار، ليس جمال ولا الحكومة، ولكنه الشعب وأنا وحي العباسية وتلك الهزيمة القاسية، فنحن قلنا له: "لا والنبي رايح فين" دي العقود باسمك والحاجات في ايدك (فين مصر) قبل ما تمشي؟!

نعم كتبت التجربة الأنثوية

شهادة

كاتب يريد أن يكتب الخمسة سطور المزركشة التي ابتدعها (إحسان عبد القدوس) في الأدب العربي، فإحسان حينما تشتعل العاطفة في رواياته أو تتأجج المشاعر في قصة من قصصه بين البطل والبطلة، عنده حل جاهز يبعده عن الرقابة، وعن اعتراض الناشر، وعن هيصة البعض في البرلمان[٤] هذا الحل هو ٥ سطور مزركشة ممتدة يضعها حينما يدخل رجل وامرأة غرفة ويغلقونها أو عند ميعاد العصاري تحت شجرة مشمش بين شاب وفتاة!! ثم بعدها يعلن النتائج ويترك القارئ تخيل ما حدث؟! .. هذه هيئتها:

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

. . . .

---

[٤] اعترض البرلمان المصري "مجلس الأمة وقتها" على رواية إحسان عبد القدوس (أنف وثلاث عيون) واتهموه بالإباحية ووصلوا إلى ما يشبه التوصية بالمصادرة.

صنع الله ابراهيم

صنع الله إبراهيم[٥] يريد أن يضع ألف سطر مزركش ويكتب هذه السطور الخمسة يكتبها كلاما، وفهما، وعمقاً، وتحليلا، وسيكولوجيا، وبيولوجياً و... هل تحتاج لخبرة وفن أم أن البكارة والفطرة هي الأصل فيها؟! هل هي علم وفن؟!

ففي سنة ١٩٩٤ ترجم صنع الله عدة كتابات، أصدرها في كتاب عنوانه (التجربة الأنثوية) جمع فيها مختارات من الأدب النسائي العالمي واشترط فيها: أن تكون الكاتبة امرأة، أن يكون الموضوع الجنس، أن تكون الكتابة لأسماء معروفة تنفي عن الموضوع فكرة الابتذال.

ولأني وجدت همزة وصل بين كتابه وكتابي، فقد ذهبت إليه لأجعل هذه الهمزة وصلاً طبيعياً فكل من الكتابين موضوعه: المرأة التي تكتب وكل من الكاتبين مهتم بالمرأة الكاتبة بالطبع هناك تفاصيل وأبعاد مختلفة ولكني أرى أن كل شيء متوافق في الأمر، لأن الكاتب الكبير صنع الله إبراهيم، صديق شخصي حميم، قلت له:

---

[٥] اعترف "صنع الله" أنه اضطر لاستخدام حيلة إحسان عبد القدوس، السطور المزركشة في أحد نصوص كتاب "التجربة الأنثوية" وهو نص (استيقاظ مود) وإنه لم يفعل في الطبعة المغربية (نفس التصرف) .

● لماذا جعلت التجربة الأنثوية في الكتابة عن كاتبات غربيات، لماذا لم تكن عن المرأة العربية أو المصرية، والمرأة الكاتبة في البيئة العربية في شديد الحاجة لها؟

– الموضوع جاء بشكل مختلف ولا خطة فيه، فبعد رواية (ذات) من فوري قررت أن أبدأ عملا، لأني بعد نهاية أية رواية أشعر باكتئاب.. فدفعت بكتابات سابقة خاصة بالمرأة كنت سبق وترجمتها أضفت إليها بعض الترجمات الجديدة من قصص وروايات لنساء أديبات "كتابات تكشف العالم الداخلي للمرأة كان منهن تونى موريسون، ومارلين فرنش، وغيرهن.. فهذا هو محل اهتمامي؛ فوجدت في النهاية أن ما جمعته يصب في موضوع واحد هو الحياة الوجدانية الجسدية للمرأة في الغرب من خلال كاتبات غربيات فكان كتاب "التجربة الأنثوية" فلم يكن بحث الموضوع بشكل بحثي، أكاديمي وإنما نصوص أعجبتني في بؤرة اهتمامي تم تجميعها، وترجمتها ترجمة أدبية عالية، لأن بينها وحدة في الموضوع، وهذا الأمر لا أعتقد أني سأكرره لأن التعمق النقدي في كتابات المرأة العربية في خارج منطقة شغلي، أنا روائي في المقام الأول.

● من من الكاتبات العربيات ممكن أن تدخل ضمن كتابك "التجربة الأنثوية"؟

– لطيفة الزيات.. فلم يحدث في تاريخ الكتابة النسائية في مصر من ناقشت حياتها الخاصة الحميمة مثلما هي في كتابها "حملة تفتيش" ناقشتها

على الورق أو مع الناس دون أن تتخفى وراء شخصية أخرى أو تضع قناعا على وجهها، وبخاصة أني اعرف علاقتها الرومانسية (غير الناضجة) مع "أحمد شكري"، وهو مناضل شيوعي دخل السجن فانهار وعمل استنعطافا لـ (للملك فاروق) وخرج ومارس حياته وكان في نهاية أيامه ملحقا ثقافيا لمصر، وهذا جزء من أجزاء الانهيار في حياتها الزوجية معه، أما الجزء الثاني فاتضح حينما أوشكت أن تفصح عنه وهو (الأورجازم) الذي شعرت به مع زوجها الثاني د/ رشاد رشدي فدخلت عالما آخر مختلف أنساها كل شيء وبخاصة أن "رشاد رشدي" يختلف تماماً عن زوجها الأول ومن عالم غير عالمه. ثم تعيد اكتشاف نفسها من خلال كل ذلك بصدق وتركيز وتطلب الطلاق فأنا أنظر لأعمالها من رؤية السيرة الذاتية والإبداعية التى وضعتها في قالب روائي.

- ود/ نوال السعداوي.

– الكتاب عن تجارب روائية، ونوال السعداوي قيمتها بالنسبة لي في كتاباتها ودراستها الاجتماعية فقط!!

- وأليفة رفعت.

– اختلاف درجات إبداعها من القمة للسفح يجعلني أعتقد وهذا أمر متروك للنقاد أنها تتلقى مساعدات في أعمالها، وهذا ممكن في العملية الإبداعية ولكنه لأي مدى.. وكيف؟! ولذا أخرجتها من حساباتي أنا لا أحب أن أظلمها ولكني أسير وراء ما أشعر به لأخر مدى فهذه قناعتي

واستمر النقاش وحذرني "صنع الله إبراهيم" من سقطتين يمكن أن أقع فيهما: الأولى: كلمة الأدب النسائي وما يدور حولها ومعركتها القديمة، الثانية: أن يكون لدي رؤية في تقسيم المرأة إلى: فاضلة وعاهرة، لأنه لا يوجد شيء من ذلك.. هناك أدب إنساني، وهناك امرأة إنسانة لها ظروفها واحتياجاتها وتطورها وظروفها الخاصة.. وقال:

إذا قبل الأدب التقسيم فلن ننتهي وبخاصة أن هناك من يقسمه لأدب أخلاقي وأدب مكشوف وهي معركة أخرى أنا أعاني منها وعانى منها إحسان ويوسف إدريس، وكتابي "التجربة الأنثوية" عانى من هذا التقسيم.. فلك أن تعرف أني نشرت منه عام ١٩٦٨ (وقبل اكتماله) عدة نصوص في مجلة الحسناء ببيروت، وجاءنى الشاعر أنسي الحاج رئيس التحرير للمجلة ليقول لي أن المجلة لا تدخل عدة بلاد عربية بسببي، لأن ما أكتبه دعارة، وقال لا تترجم ترجمة حرفية الشرق شرق والغرب غرب، ودخل بي لتقسيمات الأدب، وهو عنده هناك أدب أخلاقي، وهناك قلة أدب؟ وتركت مجلة الحسناء، ووفر لي المرحوم فتحي القشاوى عملا في أنباء الشرق الأوسط ببيروت، واندهش مما سمع وأخبرني أن من حاول أن يفعل علي قسيسا ساقط لشوشته في غرام كاتبة في سن ابنته وقال اسمها "غادة السمان"، ولأني أرفض أيضاً تصنيف كتاب (التجربة الأنثوية) باعتباره في خانة الأدب المكشوف.. أنا أضعه في خانة الأدب الكاشف بمعنى إبداعي لا بمعنى تصنيف وتقسيم، ولذلك أختار لطيفة الزيات لإضافتها لكاتبي رغم أنها تبدو أبعد ما يكون عن مجموعة التجربة الأنثوية ذلك.. وسألني لماذا لم تحاورها؟

وبدأت أوراق لطيفة الزيات تتجمع حولي. قالت لها ممثلة تكن لها الكاتبة الاحترام، قالت معلقة على روايتها الأولى "الباب المفتوح": الناس تقول إنك تحلمين على الورق تناضلين على الورق، تحققين على الورق ما لا تستطيعين تحقيقه في الحياة.. كانت هي والممثلة تجلسان في كافيتريا الإذاعة، ووصلتها الوخزة، ولكنها احتدت وعاندت وقالت: فليحلم من يستطيع رواية مماثلة في الجودة؟ وما أن انتهي التعليق الساخن والرد السريع، حتى انصرفت كل منهما لأداء دورها على الوجه الأكمل: الممثلة لدور من الأدوار التي تتغير كل يوم. وهي إلى أي دور انصرفت؟.. دور الكاتب الذي بزغ فجأة من المجهول، وهو يملك مفاتيح لعبة الكاتبة، ولكنها لم تكن لعبة على الإطلاق. بعد أن فرغت من روايتها الأولى أصبحت مثل جحا الذي ضاع صندوقه ولم يبق له إلا المفاتيح. ولكن مفاتيح الكتابة لا تصنع فنا، ولا تخلق الوله الخالص بالحياة، الذي هو جوهر الفن، بدونه تصبح الكتابة تسلية أو لعبة زخرفية. كي يعود إليها الوله بالحياة كان عليها أن تقتلع زوجها الثاني تماماً من جلدها، بعد أن سرى أثره ووصل إلى أعماق مسام هذا الجلد، كان عليها أن تربط العام بالخاص، وتشطر المرأة فيها شطرين: شطر يموت وشطر يفلت بالشجن وما من سبيل أمامها إلا أن تعود إلى العمل السياسي، إلى معانقة الواقع، وتتناغم من جديد مع ما يجري حولها.. وفي سيرتها الذاتية:"من الإنصاف القول بأن الفتاة والمرأة عاشت قبل زيجتها الثانية وخلالها على إشباع نصف ملكاتها الإنسانية على حساب النصف الآخر. وإن هذه الحقيقة شكلت سبباً من الأسباب التي أدت إلى اختلال سير حياتها"

في المراهقة عرفت الفتاة فورة الجنس وصادرتها، وفي ظل شعور حاد بالذنب دفعت الأنثى في أعماقها حتى غابت عن وعيها غير أن هذا مجرد وجه واحد للمشكلة، الوجه الأعمق هو أنها كانت في زيجتها تفر خائفة مذعورة، إلى أمان "الأب" والبيت الكبير الذي نشأت في أحضانه كانت الرغبة في الأمان تدفعها إلى الرغبة في التلاؤم، إلى الارتداد عما كان ومحاولة محوه من ذاكرة الآخرين ومن ثم قفزت قفزتها الخطيرة إلى بيت الزوج – الأب – وكانت الزوجة الشابة قد سعت العمر كله لبلوغ ما هو مطلق. كان الحب الكبير في نظرها يتساوى مع الرغبة في التوحد مع المطلق. كان يساوي الرغبة في الضياع في الآخر، في الوجود من خلال الآخر. في فقد "الأنا" والتحرر من جسد الأنا والتوحد مع الآخر الآن تدرك أن هذا كان سعياً خائبا. كان حبها ضياعاً في الآخر وليس وجوداً من خلاله ، إذ ذاك علمت أن جريمتها لا تغتفر، فما من جريمة أفدح من وأد الذات، وها هي ذي تواجه العالم ويداها ملوثتان بدمها!

وفجأة داهمت مصر هزيمة يونيو الفادحة سقط من وجدانها كهم خاص بدا الحديث عن "هزيمتها" مجرد هرطقة في وجه هزيمة ٦٧، جاءت هذه كالداهية تفصل ما بين مرحلتين. ما بين عمرين. فرغت الكلمات من معانيها، ولم يعد يجدي الاحتماء بالكلمات من الكلمات، وعذبها الجندي مستشهدا، وأوجعها الجندي عائداً عارياً في وقدة الشمس عبر صحراء سيناء، لا يعرف من أين أتت الخيانة، وأصبحت هي بشخصها مثار الشجن وموضع التندر، وهي تجرجر مع الخيبة نقمتها ورغبتها في الانتقام لم

تعف نفسها من اللوم. لماذا لم تقل "لا" أكثر مما قالت؟.. لماذا لم تجعل رفضها أكثر فاعلية؟..

قالت في اجتماع لجنة القصة بالمجلس الأعلى للآداب: كل واحد منا مسئول عن الهزيمة، لو قلنا لا للخطأ لما وقع الخطأ، ما حلت بنا الهزيمة.. ويرد الدكتور حسين فوزي: إن أحداً لم يملك أن يقول لا، وإن السجن كان نصيب من قالها.. فأصرت لطيفة الزيات قائلة: لو قال كل المثقفين لا، ما استطاعوا أن يسجنونا جميعاً وحين قرر عبد الناصر أن يتخلى عن الحكم لزكريا محيي الدين، شقت طريقها بصعوبة وسط الجماهير الحاشدة الرافضة لتخلي عبد الناصر، واشتركت مع شقيقها مُحَمَّد الزيات، أمين عام مجلس الشعب ومع مُحَمَّد الخفيف في صياغة القرار الذي اتخذه المجلس فيما بعد: "نقول لجمال عبد الناصر".. وليلة مات عبد الناصر لم تبك لطيفة، كانت أمها تضع كومة من مناديل أمامها، وهي ترقب شاشة التليفزيون. وكان الكل يبكي، كانت هزيمة ٦٧ معها، ومذبحة أيلول الأسود للفلسطينيين، ومشاعر حادة ومتناقضة، مزيج من الأسى لليوم والخوف على الغد أسهدها حتى الصباح، ولم تعرف بموت عبد الناصر إلا بعد إعادة الخبر، كان عبد الناصر مسجى على سريره ميتاً وطبيب العيون يطفئ نور الغرفة ويسلط النور على عينيها، ثم ينصرف للحديث مع صديق له عن مشاكله المالية مع زوجته، ويعدد الأثواب والأحذية التي اشترتها.. وتدخل هي تحت وطأة الكابوس وتتخيل أنها ستموت وهي جالسة على مقعدها، ثم تعود إلى البيت وأكوام المناديل المرصوصة أمام أمها وحين أبلغتها أمها بالنبأ لم تبك.. بكت بعدها بأيام.. وقفت في شرفة بيتها تطل على جمع من نساء

يولولن ويلبسن السواد، وبجوارهن رجال ذاهلون وأطفال يصرخون صرخات طويلة تنعي عبد الناصر، وهم يشقون الثياب، وطفرت الدموع إلى عينيها، وهي تقول بصوت مسموع: لا يحق لفرد أيا كان أن ييتم شعباً!

(البوح.. الاعتراف.. السيرة الذاتية.. الفضفضة) فض الأوراق القديمة.. نشر المذكرات الخاصة، خلط الخاص والعام، رفض أن يكون هناك ما هو خاص!! لا شيء يقاوم الكتابة.. لا شيء يعلو على الورق.

الكتابة تملك مغناطيسا يجذب كل ما هو ذاتي لها، مرتبط بها، وليس أمامها لحيائها إلا تغليف ذلك بسلوفان (الرواية) أو فن الرواية كما تعرفه وتحفظه وتدرسه للأجيال كأكاديمية جامعية، وناقدة ملهمة).

إنها : لطيفة الزيات [٦] إنها تبدأ "الشيخوخة" روايتها القصيرة بعبارة

(هذه يوميات كتبتها من عشر سنوات وسقطت في زحمة أوراق منسية، حاولت تعديل هذه اليوميات لتعبر عن منظوري الحالي للحياة كامرأة) وتدور الرواية عبر تواريخ كلها في ١٩٧٤ !! أما رواية "صاحب

---

[٦] ولدت في دمياط عام ١٩٢٣ وحازت على درجة الليسانس عام ١٩٤٦ والدكتوراه ١٩٥٧ إلى ان وصلت إلى درجة أستاذ في النقد الإنجليزي ١٩٧٢ . وشغلت رئاسة قسم اللغة الإنجليزية وآدابها وتعمل حاليا أستاذا متفرغا بقسم اللغة الإنجليزية وآدابها بكلية البنات – جامعة عين شمس – وقد حصلت ١٩٩٦ على جائزة الدولة التقديرية في الآداب .

وتعتبر روايتها " الباب المفتوح " من اهم الأعمال في الآداب النسائي وقد ترجمت إلى ثلاث لغات (منها الازبكستانية) ولها مؤلفات بالإنجليزية أهمها : نظرية هيمنجواي الأدبية ، د. لورانس ومفهوم العضوية / تحليل نقدي لرواية (العسكر الطيب) لفورد مادوكس.

البيت" فقد فضحت فيها التجانس بين الكاتبة والبطلة، والتطابق بين حياتهما والتوحد بين سيرتهما، ما كانت قد نشرته سابقاً عليها بسنتين بعنوان

"أوراق شخصية" حملة تفتيش والذي يعتبر بمثابة سيرة ذاتية لها في رأي الخاصة والنقاد، فلقد شعرت بأن زيجتها الأولى والتي عاشت فيها مناضلة مع زوجها الأول، حتى قبض عليهما معاً في بيتهما، بصحراء سيدي بشر تحتاج إلى عودة وإلى تفحص أنثوي مثير بعيداً عن الجو النضالي فكانت رؤيتها الثانية لها في "صاحب البيت"، وفي فترة لها شجون ووميض خاص في حياتها حيث (دخلت وزوجها سجن الحضرة) ليحكم عليه بالسجن سبعة سنوات، وتخرج هي بحكم مع وقف التنفيذ وكان ذلك في أوائل الخمسينات.. وفي كل عمل من أعمالها الثلاثة تجدها تجاهر بكونها أنثى، وقبل الدخول في بوح لطيفة الزيات الأنثوي

(حملة تفتيش) سيرة ذاتية لها؟! والتى قالت عنها: لم أكتب سيرة ذاتية في (حملة تفتيش) التي اعتبرها البعض سيرة ذاتية تقليدية أو غير تقليدية فأنا أسميتها أوراق شخصية وهذا يعني أني أستخدم مادة ذاتية وطالما أني لم أكتب (سيرة ذاتية) كما فعلت الشاعرة (فدوى طوقان) فلا يمكن أعتبارها كذلك. وكل ما في الأمر أني تتبعت خطاً واحداً من خطوط الصراع النفسي الذي ساد حياتي وهو الصراع بين: الرغبة في الحياة والعزوف عن الحياة. الإقدام والارتداد والتقوقع. وقد عالجت ذلك علاجاً روائياً ورغم ذلك فأنا أرى كل كتابة ذاتية وإلا لتشابهت كل

الكتابات، فالذات منبع كل عمل إبداعي، ولعل من المهم جداً للمرأة أن تتكلم عن ذاتها، لأن هذا موضوع طال فيه الصمت وانفرد فيه الرجال.. فهل نحن نلوم الرجل حين يركز على المشاعر الرجولية، حتى نلوم المرأة حين تركز على أحاسيسها الأنثوية؟!

وسمعت رأيا غريباً من (لطيفة الزيات) التي طالبت أن نسمع صوت المرأة في كتابها (كل هذا الصوت الجميل) في نقد أعمال عدد من الكاتبات المصريات والعربيات.

لقد قالت: لم يبلغ الاحتفاء بالأدب النسائي في وقت من الأوقات ما بلغه الآن!! فهذا الاحتفاء يتم بطريقة واسعة جدا ولكنه يتم بطريقة عشوائية وأنا لا أعجب بأدب يترجم لمجرد صدور المجموعة القصصية وتكون كاتبتها امرأة فنتمتع بذلك بنصيب أكبر من الرجل في الترجمة .

واستفسرنا جميعا.. وردت بوعي: الموضة في أوروبا وأمريكا (أدب المرأة وبالتحديد في العالم الثالث، كده بالزوفة!!) وهذا يحدث بسبب الجمعيات النسائية وجمعيات حقوق الإنسان، إنهم يعاملونها كنوع من أدب الأقليات المضطهدات.

ورغم إجابة د. لطيفة الزيات، فأنا يعجبني ما كتبه الناقد (فاروق عبد القادر) عن (أوراقها الشخصية) وأضيفه لباقي ثلاثيتها الذاتية (الشيخوخة) و(صاحب البيت) فهو يقول: هي لا تسعى في هذه الأوراق الشخصية إلى تقديم سيرة ذاتية معينة بتتابع الزمن وتعاقب الأحداث لكنها

تنثر حبات عقد العمر كله، ثم تنتقي أكثرها ألقاً ووهجا، وتروح تتفحصها في أناة، وقد يكون أبرز حبات العقد ذلك الصراع بين الأنثى والمناضلة الذي يشغلني في هذه الصفحات..

إن عبارتها "كنت فتاة خجولة إلى حد كبير"، فقد كان جسدي ممتلئاً بعض الشيء وكنت أحمله وكأني أحمل خطيئة، لدرجة أنني كنت أخجل من إعادة كتاب أخذته خطأ من رفوف مكتبة الجامعة، أمام الناس وكان يخيل إلي أن كل الأنظار متجهة إلى جسدي الممتلئ "هي وهج البداية".

أما إجابتها عن سؤال مذيعة التليفزيون وهما في انتظار تسجيل برنامج ما بعد ١٩٦٥ حيث الطلاق بينها وبين زوجها الثاني ومن المهم الإشارة بأنه هو "رشاد رشدي" قالت لها المذيعة "الناس بالطبع يمكن تفهم سبب الطلاق ولكن غير مفهوم كيف حدث الزواج أصلاً ؟!" فإذا بلطيفة الزيات ترد من عقلها الباطن وبلا تفكير: الجنس سبب سقوط الإمبراطورية الرومانية!! فهو المجاهرة التي تريد أن تعلنها المناضلة أنها (أنثى) وتقول هي: وضحكنا سوياً من المفارقة الساخرة التي انطوت عليها إجابتي التي حملت جانباً من الصدق، لا كل الصدق، أما المفارقة الأخرى أني سمعت من صحفية [٧] أن لطيفة الزيات مختارة ضمن أجمل ٥٠ أنثى في العالم، لطيفة

---

[٧] الصحفية هي : نجلاء محفوظ .

- آخر ما سمعته من صافي ناز كاظم إنها ذهبت لها إلى المستشفى وجلست بجوارها عند احتضارها الأخير وسبحت معها ولقنتها الشهادة وكانت راضية وسعيدة بذلك.

الزيات نفسها اندهشت وقالت: على مستوى الكتابة أم الجمال؟! وقلت لها: الجمال!!

فقالت: هذه مادة قاسية للغاية للمعالجة الكوميدي، إن النقاد يسموا هذا (Satire) (تقصد هجاء بالعربية!) فأنا نفسي كنت أشعر أني جامدة ولم أحلم بأني امرأة فاتنة!

كان يجب الرجوع إلى صنع الله إبراهيم، وبخاصة بعد سوء الفهم بيننا حول مفهوم المرأة الفاضلة والمرأة العاهرة، أو المرأة السوية والمرأة الباغية.. هو يرى أنه لا يوجد هذا التقسيم ولا يقبل وجوده أو مناقشته كان اختياره (للطيفة الزيات) اختياراً موفقاً لأبعد حد؛ فهي امرأة حلت هذه المعادلة الكيميائية المعقدة وجعلت الاثنين في واحد؟!

الأستاذ "صنع الله إبراهيم" يسألني هل (هدى المرأة الحديدية) وكاملة صاحبة عمارة مصر الجديدة المنهارة على سكانها سيدتان فاضلتان لأنهما لم يلعبا بذيلهما؟! و(زينب السيد) وهي آخر فتاة تسقط بالدعارة طبق قراءاتي لصفحة الحوادث في الجرائد (باغية) لأنها مارست ذلك تحت ضغط وإلحاح ترويج سلعة والإعلان ودفعت ثمن ذلك وحدها مع أن صناعة الإعلان تقول ذلك؟! إن هناك سؤالا في كلية التجارة امتحن فيه طلبتها يقول هل يمكن لبائعة جميلة أن تروج سلعة ؟!

(وأسكت، ولكنه يستمر..)

– إن نوال السعداوي لو عرفت أن هذه التقسيمة مازالت في رأسك لحزنت على كل الكتب التي أعطتها لك من مؤلفاتها مجانا!!

– ولكن المرأة في كتاباتك هامشية ليست بطلة، خيال، طيف، ثم إنها تقدم السلوك الذي يرفضه المجتمع هذا في (تلك الرائحة). وفي (بيروت.. بيروت).

– هذا شيء آخر فأنا أعترف بذلك وأني لم أقدم المرأة قبل رواية "ذات" لأني كنت أتحرج في الكتابة عنها وأنا لم أعرفها جيداً فلا أنا عرفتها في طفولتي ولا في مراهقتي ثم خطفني السجن بدري فلم أكتبها في رواياتي، ولكن آخر رواية "ذات" اكتملت عندي رؤية للمرأة من احتكاكي اليومي ومعارفي وجيراني وزواجي فكتبت نموذجين في رواية ذات: المرأة الضعيفة "ذات"، والمرأة القوية "همت".

– ما دور أمك في حياتك؟!

– تريد أن تحللني؟.. وعلى العموم هذا بعد جميل في النظر لما أكتب.. لم يكن لأمي أي دور في حياتي لسبب أنها لم تكن موجودة تركتنا بسبب مرضها وعمري خمس سنوات وتحمل والدي عبء تربيتي كلها.

– اسمح لي أن أترك لخيالي العنان فأنت بتركيبتك في (النشأة والتكوين) وبخياراتك في الكتابة قد حاولت أن تستغني عن معطيات المرأة

الإيجابية والسلبية وتختصرها في (فلسفة الجنس) وتحاول من خلال الجنس أن تعرفها؟!

– سيجموند فرويد له نظرية في علم النفس تقوم على الجنس وهو مختلف في النشأة والتكوين عني، ولكنه يرى أن حياتنا تدور حول (الجنس) رغم أننا ننكر ذلك، ولذا فأنا أعترف بأنني أعتبر الحديث عن الجنس حديث جاد ومهم، وأنه أحد اهتماماتي وأجتهد في حل طلاسمه وأتمنى أن أنجح في ذلك عن طريق التعبير الروائي.

– إذن لم تكن لتحزن كما فعل إحسان عبد القدوس حينما هاجمه عباس العقاد ووصفه بأديب الفراش. لو قال عنك العقاد ذلك؟!

– أحزن لو قال عني العقاد غير ذلك.. إن أنيس منصور وهو تلميذ وعاشق قال عن نقد العقاد، إن العقاد حينما ينقد: يصبح عباس محمود العضاض!!

– ما آخر إنتاجك؟

– انتهيت من رواية (شرف) وأتمنى أن تنشر قريبا.

– ما دور المرأة فيها؟!

– إنها رواية كلها رجال.. لا امرأة واحدة بينهم.

– هي إذن رواية (لوطية)..

ابتلع السخرية وتقبلها وضحك!!

– إنها رواية سجون، وبالتالي فهى بلا امرأة

وشربت آخر رشفة في قهوتي الباردة، التي صنعها لي بيده صنع الله إبراهيم.

فهرس